



مؤتمر المسجد الأقصى فضائله و تاريخه و واجب المسلمين تجاهه (الأقصى ... جذور عريقة)

تنظيم الجامعة الإسلامية بمينيسوتا

الرقم (٣٢٣١)

تاريخ مكتبات القدس والأقصى والتحديات التي تواجه تراثها الثقافي العربي.



الدكتورة هيفاء سليمان الامام

أستاذة الحضارة العربية الإسلامية في الجامعة اللبنانية الدولية liu

ورئيسة تحرير مجلة وميض الفكر للبحوث العلمية المحكمة

h_imamomais@hotmail.com

الملخص:

منذ العصور القديمة تميزت القدس بأنها منارة للعلم والعلماء، وحرصت الحضارات وخاصة الحضارة العربية الإسلامية على إبراز المكانة العلمية لهذه المدينة عبر إقامة الجوامع والمدارس والمكتبات المختلفة والتي لا زالت حتى اليوم شاهدة على عصر العلم فيها، فمدينة القدس العربية هي مهد الديانات والحضارات ومهداً للثقافات أيضاً، وذلك ما جعل منها أرضاً خصبة للمكتبات، وهي تفتخر بما تكتنزه من مخطوطات ووثائق تاريخية وسجلات رسمية ومنها ما يتعلق بالكتب والمكتبات.

عندما احتلت القوات الصهيونية مدينة القدس عام ١٩٦٧م، كانت مكتبات وخزائن الكتب فيها تتجاوز أكثر من ستين خزانة ما بين عامة وخاصة، وقد حوت في رفوفها الكثير من الكتب ونوادير المؤلفات التي عرّ وجود نظير بعضها في بلد آخر. وكانت تضم أكثر من مئة ألف كتاب وأكثر من نصف مليون وثيقة ومخطوط وسجل، ولكن ومنذ ذلك الاحتلال الغاصب لهذه المدينة، استمرت تتعرض إلى إجراءات بالغة الخطورة، هدفها الرئيس تهويد القدس من جهة، والقضاء على هذا الإرث العلمي من جهة أخرى من هنا جاءت هذه الدراسة لتسلط الضوء على



كنوز ونوادير مكتبات القدس والأقصى ، ولتشرح للعالم والرأي العام ما تقوم به قوات الاحتلال من جرائم بحق التراث الحضاري العربي والعلمي والثقافي في مكتبات بيت المقدس.

الكلمات المفتاحية: التحديات الثقافية - مكتبات القدس - مكتبة الأقصى - الاحتلال الصهيوني

Summary:

Since ancient times, the city of Jerusalem has been remarkable for serving as a beacon of knowledge and scholars. All civilizations, especially the Arab Islamic civilization, were keen on highlighting the city's erudite status by building various mosques, schools and libraries which are still standing today as witness to its age of knowledge. Jerusalem is also the cradle of religions, civilizations and cultures, which made it a fertile ground for libraries that took pride in its collection of manuscripts, historical documents and official records, including those related to books and libraries.

When Zionist forces occupied Jerusalem in 1967, the city had books and bookshelves that counted more than sixty public and private bookcases, which had in its shelves numerous books and rare literature that were almost inexistent in any other country. These included more than a hundred thousand book and half a million document, manuscript and record. But, ever since the city fell under the enforced occupation, it has been continuously subject to extremely dangerous policies, which aim at judaizing Jerusalem on one hand and destroying its scholarly legacy on the other. Here, this study sheds light on the treasures and rarities of the libraries in Jerusalem and al-Aqsa, and to set forth for the world and public opinion the criminal actions of occupying forces against the civilizational, scholarly and cultural heritage of the libraries in Bayt al-Maqdis.

Keywords: Cultural challenges, Libraries of Jerusalem, the Library of al-Aqsa, Zionist occupation.





المقدمة:

يشكل تاريخ المكتبات وتطورها في أي حضارة أو دولة أو مدينة، جانباً مهماً من تاريخها العام. وقد أعطت الحضارة العربية الإسلامية عبر عصورها المختلفة اهتماماً خاصاً بالكُتب والمكتبات، ولهذا انتشرت خزائن الكتب ودورها في بغداد ودمشق والقاهرة وفارس وقرطبة والقدس، وغيرها من مراكز الحضارة العربية الإسلامية^(١). وبالنسبة للمكتبات عامة والمكتبات العربية الإسلامية خاصة، فقد ساهمت هذه المكتبات في توسيع نطاق الحضارة العربية الإسلامية ونقلها إلى العالم وإلى الأجيال المسلمة وغير المسلمة، وبعدها اتسع أفق المسلمين وازدهرت حضارتهم وتنوعت اهتماماتهم الفكرية والعلمية^(٢).

ومدينة القدس الغنية بموروثات الحضارة العربية العلمية والفكرية، ما زالت تقتخر بما تكتنزه من وثائق تاريخية وسجلات رسمية ومنها ما يتعلق بالكُتب والمكتبات وأثرها في الحضارة الإسلامية، وهذه الوثائق تتوزع على المحاكم الشرعية في القدس ولدى الورثة وفي سجلات (الطابو) العثماني، إذ كان هناك أراضٍ موقوفة للمكتبات فقط^(٣)، إلا أنه وفي العصر الحديث تعرضت إلى عمليات عدوان وتدمير ونهب ممنهجة قضت على أغلب محتويات مكتباتها مما قضى بنسبة عالية على تاريخها العلمي العريق.

- مشكلة الدراسة:

كانت الإشكالية في هذا البحث تدور حول الأسئلة التالية: ما أهم وأبرز المكتبات المقدسية؟ كيف فرض الاحتلال الاسرائيلي القيود الخانقة على مكتبات القدس والأقصى؟ وكيف تواجه هذه المكتبات الاعتداء على ثقافتها؟ وكيف تقاوم الاحتلال وتحافظ على تراثها العلمي وهويتها الحضارية؟

- أهمية الدراسة:

أن أهمية هذه الدراسة، تأتي من أن الدراسات والأبحاث في تاريخ المكتبات المقدسية قليلة العدد والعدة، وتكاد تكون نادرة، بل لا نغالي إذا قلنا إن كثيراً من الباحثين والدارسين يتجنبون مشقة البحث في هذه الموضوعات والتصدي لدراساتها، لا لصعوبتها فقط بل لقلّة مصادرها وتبعثر معلوماتها أيضاً. كما أن أهمية هذا الدراسة تأتي من خلال البحث عن أهم المخطوطات الموجودة في مكتبات القدس لتكون هدف الأجيال القادمة في الدفاع عنها للمحافظة عليهم.

١ (يوسف العش(١٩٩١م) دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط، ترجمه عن الفرنسية نزار أباظة ومحمد صباغ، ونشرته دار الفكر المعاصر في بيروت .

٢ (ربحي مصطفى عليان (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) مقال بعنوان المكتبات في مدينة القدس ، مجلة عالم الكتب/مج ٢٣/١ع، ص ٢١-٣٠.

٣ (غادة فقيه (٢٠٢١/٦/٢٥) ، مقال بعنوان: تاريخ الكتب والمكتبات في القدس وثائق تاريخية نشر في موقع مجلة بقية الله.

[/https://baqiatollah.net](https://baqiatollah.net)



- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن جانب من جوانب إشراقات الماضي، وامتداد الحاضر، وهي مكتبات مدينة القدس، كما تقدم الدراسة معلومات عن الانتهاكات الإسرائيلية للكتب والمكتبات في فلسطين بشكل عام وفي مدينة القدس بشكل خاص، والمشكلات التي تواجه المكتبات في مدينة القدس^(١). كما تسلط الضوء على مقاومة الاحتلال الفكري والثقافي من قبل أهالي مدينة القدس.

- منهجية الدراسة:

لدراسة هذه الموضوع، اعتمدت على أساليب منهجية تتناسب مع القضية أو العنصر المدروس لذا استخدمت المنهج التاريخي التحليلي الذي يستند إلى استرداد الماضي لفحص أحداثه تبعاً لما تركه من آثار فكرية للاعتماد عليها في تكوين حقائق جديدة.

- أسباب اختيار البحث :

ان من اهم اسباب اختياري لدراسة المكتبات في القدس والأقصى هو العمل على حماية كنوزها الحضارية ومحتوياتها الثمينة. لأنها تعاني من تحديات وجودية بشكل يومي، ان من قبل الادارة الصهيونية، او من قبل اعتداءات المستوطنين، او من القصف المباشر والتدمير المستهدف لها.

- خطوات البحث :

إن متن هذه الورقة يتألف من تمهيد ومبحثين وخاتمة . فالتمهيد يتحدث عن أهمية القدس التاريخية والجغرافية، وعن النهضة المكتبية في فلسطين عامة وفي القدس بشكل خاص. والمبحث الأول: تحدث عن أبرز مكتبات القدس وأهم محتوياتها. والمبحث الثاني : عرض الانتهاكات والقيود الخائفة التي يفرضها الكيان الصهيوني على مكتبات القدس. والخاتمة تحتوي على استنتاجات وتوصيات.

-الدراسات السابقة:

أما عن الدراسات السابقة في الموضوع، فبعد البحث والفحص والتقصي لم أعرثر على دراسة مباشرة لموضوع البحث، خاصة في الدراسات التي تتعلق بالمخطوطات، إلا أنني أضع بين أيديكم بعضاً من الأعمال القريبة منها والمماثلة لها رغم قلة عددها، وأسجلها هنا للأمانة العلمية، ولبيان موقع البحث الحالي منها، على النحو التالي:

١. يوسف العش، دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط، ترجمه عن الفرنسية نزار أباطة ومحمد صباغ، ونشرته دار الفكر المعاصر في بيروت عام ١٩٩١م.

(١) ربحي مصطفى عليان المقال السابق، ص ٢١-٣٠.



ويقع في ٤٣٧ صفحة. وكان هذا الكتاب رسالة دكتوراه للمؤلف، حصل عليها عام ١٩٤٩م من جامعة السوربون (فرنسا) والبحث - كما هو واضح من عنوانه - يمثل موسوعة في موضوعه، اختصّ مكتبات القدس في الصفحات من ١٥١-١٥٣، ٢٧٦-٢٧٧. ويعد ما ذكره عن مكتبات القدس في هذه الصفحات مصدراً لا غنى عنه لأي دارس للموضوع .

٢. فيرا كوسا وفاليري روك، مكتبات الأديرة في منطقتي القدس وبيت لحم: دراسة حالة، نشرت باللغة العربية في مجلة "رسالة المكتبة" المجلد التاسع والعشرون، العدد الثالث (أيلول ١٩٩٤م) . وشغلت الصفحات (٦٥-٩٣) مصدر لبعض المعلومات التي استقيت منها في دراستي هذه.

٣. علي السيد علي، مكتبات القدس في عصر سلاطين المماليك، دراسة نشرت في مجلة المكتبات والمعلومات العربية، السنة الرابعة، العدد الرابع (أكتوبر ١٩٨٤م) وشغلت الصفحات (٥-٢٤)، والدراسة عبارة عن سرد لعصر المماليك في القدس معتمداً في ذلك على المصادر التاريخية -بحكم تخصصه، وأشار إلى خزانة الكتب في المسجد الأقصى في صفحة واحدة (صفحة ٩).

٤. حامد الشافعي محمد دياب، مقال بعنوان (مكتبة المسجد الأقصى المبارك (ماضيها وحاضرها) نشر في ٢٠ تشرين الأول ٢٠٠٧ على موقع مدينة القدس (alquds-city.com) . وهنا عرض الكاتب تاريخ المكتبات في فلسطين والقدس مركزاً على مكتبة المسجد الأقصى وتاريخ نشأتها ومكوناتها.

٥. ربحي عليان، المكتبات في مدينة القدس إعداد جامعة البلقاء/الأردن للندوة الثالثة عشرة لاتحاد جمعيات مكتبات بلاد الشام جامعة النجاح الوطنية بتاريخ ٣/ ١٢ /٢٠٠٩ وقد عدد في هذا البحث اهم مكتبات القدس نشأتها وتطورها التاريخي ، مما ساعد كثيراً في اغناء معارف هذه الدراسة.





المبحث الأول: أبرز مكتبات القدس ومحتوياتها:

١ - تمهيد عن أهمية القدس التاريخية والجغرافية:

إن أهمية مدينة القدس تأتي من أنها تعتبر من أهم العواصم التي تحتل مكانة بارزة في وعي الإنسان في كل مكان وزمان، لأنها كانت مركز إشعاع فكري يتفجر بمعان حضارية ودينية وتاريخية، لأن فيها أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين^(١). فقد تميزت عبر تاريخها بمقاومتها للمغتصب والمحتل والغازي، ذلك بصبرها على كل الانتهاكات الانسانية وعلى اغتصاب حقوقها وفرض سطوته عليه بالقوة. وهذا يكشف عن حضورها التاريخي ويؤكد شخصيتها المتميزة المتمردة على كل ظلم وظالم.

والقراءة المتأنية لتاريخ المدينة تكشف عن مراحل تألفت فيها القدس، فاحتلت خلالها مراكز مرموقة ومكانة حضارية رفيعة، مما جعلها دوماً في قلب الحدث التاريخي، كذلك تميزت المدينة بالمحافظة على مركزيتها وأهميتها الإستراتيجية^(٢). وللجغرافيا أيضاً إسقاطاتها المختلفة على القدس، ودون التطرق إلى التفاصيل، يمكن القول إن المدينة قد وقعت في أهم منطقة في العالم: منطقة البحر الأبيض المتوسط، وتشكل هذه المنطقة نقطة تجمع للممرات الدولية الهامة، كمضيق جبل طارق والدرنديل ومنطقة الخليج عبر مضيق هرمز وباب المندب وقناة السويس^(٣). وهكذا قامت مدينة القدس في موقع متميز من أرض فلسطين جعل منها "صورة الوطن المقدس وملتقى أقطاره"^(٤)، الأمر الذي حدا ببعض العلماء الأقدمين إلى اعتبارها مركز الكوكب الذي نعيش على سطحه، ويدور في فلك القدس عدد من المدن والقرى، ولموقعها هذا أهمية إستراتيجية وأهمية دينية وأهمية حضارية.

فالقدس كانت دوماً مفتاح الحرب والسلام في المنطقة، إذا استتب الأمن والسلام فيها نعمت المنطقة كلها بالأمن والسلام والاستقرار، وعكس ذلك صحيح^(٥).

٢ - النهضة المكتبية في فلسطين:

إن المتتبع لتاريخ النهضة المكتبية في فلسطين سيجد أن مكتبات المساجد^(٦) هي المكتبات الأولى التي عرفت فلسطين الإسلامية، وأبرز هذه المكتبات هي: خزائن المسجد الأقصى في مدينة القدس، بالإضافة إلى

١ (عبد الحليم محمود، بيت المقدس في الإسلام، القاهرة، مجمع البحوث الإسلامية، ١٩٦٩، ص ١١.

٢ (عارف العارف (١٩٦١م) **المفصل في تاريخ القدس**، فلسطين - القدس، مكتبة الأندلس، صفحة ٦-٧ المقدمة.

٣ (حامد الشافعي محمد دياب، المقال السابق .

٤ (موسى الحسيني. عروبة بيت المقدس. بيروت: مركز الأبحاث، ١٩٨٥م، ص ١٨.

٥ (حامد الشافعي محمد دياب، المقال السابق.

٦ (يوسف العش. مرجع سابق صفحة: ١٦١



مكتبات بعض المساجد الكبرى في فلسطين، كالمكتبة الأحمدية في عكا، ومكتبة الحرم الإبراهيمي في الخليل، ومكتبة جامع يافا الكبير، ومكتبة مسجد الحاج نمر النابلسي في نابلس، وهذه المكتبات من أشهر مكتبات المساجد في فلسطين وأعرقها والتي كان لها الدور الثقافي المميز في تاريخ فلسطين وحضارتها.

٣- ما هي أبرز مكتبات القدس^(١) :

كانت الأوقاف التي يقفها المسلمون من الحكام والمفتدريين مصدر تمويل للمؤسسات التعليمية ومنها الكتب والمكتبات. وتعد مكتبات المساجد أولى المكتبات التي عرفتها فلسطين ومدينة القدس بشكل خاص. فكانت المدينة صرحاً واسعاً لطلاب العلم ومحبي المعرفة ففي ساحات المسجد الأقصى وفي مدينة القدس بأكملها وجدت المكتبات.

ونذكر منها على سبيل المثال: مكتبة المسجد الأقصى- المكتبة الخالدية- مكتبة الشيخ محمد صنع الله الخالدي- مكتبة العلامة خليل الخالدي- مكتبة أحمد سامح الخالدي- مكتبة حسن الترجمان- مكتبة البديري- مكتبة أبي السعود (محمد طاهر)- مكتبة المحكمة الشرعية (دائرة قاضي القضاة)- مكتبة آل الخطيب- مكتبة الفتياني- مكتبة آل اللحام- مكتبة حسن عبد اللطيف الحسيني- مكتبة إسحاق موسى الحسيني- مكتبة النشاشيبي- مكتبة خليل بيدس- دار الكتب الفخرية- المكتبة الخليلية- مكتبة آل الموقت- ومكتبة آل قطينة- مكتبة عبد الله مخلص- مكتبة آل جار الله- مكتبة المدرسة الصلاحية- مكتبة الكلية العربية- مكتبة الزاوية البخارية (النقشبندية)- مكتبة المدرسة الأشرفية السلطانية- مكتبة المدرسة الأمينية- مكتبة الزاوية النصرية.... إلى غير ذلك من المكتبات والخزائن التي كانت تحفل بها القدس في ذلك الوقت^(٢).

أ- نشأة مكتبة المسجد الأقصى وتطورها^(٣):

الجدير بالذكر أنه كان هناك مكتبات كثيرة في مساجد فلسطين وجوامعها بشكل عام وفي مدينة القدس بشكل خاص، ولكن الوثائق والمعلومات الخاصة بهذه المكتبات قليلة ونادرة^(٤). وقد عرفت فلسطين خزائن كتب عامة وخاصة كثيرة. فأما العامة فأشهرها خزانة المسجد الأقصى في القدس. وعلى الرغم من انتشار خزائن الكتب في مساجد القدس وجوامعها في العصر الأيوبي والمملوكي والعصر العثماني، إلا أنه يمكن القول إن أهم تلك الخزائن

١ (يوسف العش. مرجع سابق صفحة: ٢٧٦

٢ (عادة فقيه ، (٢٠٢١/٦/٢٥) ، مقال سابق.

٣ (يوسف العش. مرجع سابق صفحة: ١٥١-١٥٣

٤ (ربحي مصطفى عليان، (٢٠٠٧/٣/١٥) مقال في مجلة سابق ص ٢١-٣٠،



كانت خزائن المسجد الأقصى، فقد كان هذا المسجد كغيره من المساجد الإسلامية^(١) الكبيرة ولا يمكن للمسجد أن يكون مركزاً علمياً دون وجود المخطوطات والكتب والمكتبات.

وقد بدأت البواكير الأولى لمكتبة المسجد الأقصى، وتطوّرت على مرّ العصور ابتداء من الفتح الإسلامي للقدس حتى يومنا هذا. وهنا لا بد من سرد تاريخ هذه المكتبة الطويل^(٢)، وقد سميت هذه المكتبة -على مدى تاريخها الطويل- بالأسماء التالية: خزانة الكتب، دار الكتب، مكتبة، فالأولى تدلّ على مدى الحرص على الكتب، والثانية تدلّ على ضخامة الكتب المقتناة، والثالثة تدلّ على الاستعمال العصري^(٣).

وثمة مجموعة من العوامل التي تضافرت في صنع هذه المأساة، يمكن رصدها على النحو التالي:

١. إن مدينة القدس كانت على مدى تاريخها الطويل من أكثر المدن معاناة وتعرضاً للنكبات.

٢. الجهل الذي ساد في القرون المظلمة .

٣. ما نهبه الغرب^(٤) وما أخذه من كتب ومخطوطات في وقت كان أهل البلاد لا يعرفون قيمتها^(٥). وعلى هذا النحو تسرّب كثير من كتب التراث إلى أوروبا وأمريكا ويؤكد البعض هذه الحقيقة بقولهم: إن هناك صناديق مليئة بالمخطوطات في جامعة هيدلبرج في ألمانيا عليها ختم المسجد الأقصى. فعندما أنشئ المجلس الإسلامي الأعلى في مدينة القدس سنة ١٩٢١م، أولى عناية كبيرة للكتب القديمة في القدس، فجمع كثيراً منها ومن المخطوطات الباقية في خزائن المسجد الأقصى، وأنشأ مكتبة في المسجد الأقصى ووضع فيها ما أمكن جمعه من الكتب والمخطوطات التي نجت من الإهمال وسوء التصرف، أطلق عليها "دار كتب المسجد الأقصى".

وافتحت هذه الدار عام ١٩٢٢م في القبة النحوية التي كانت مدرسة للنحو والأدب، أنشأها الملك المعظم ثم نقلت فيما بعد إلى المكتبة الأسعدية شمالي الحرم بعد أن رمّمها المجلس الأعلى في عهد الحاج أمين الحسيني، وقد نقلت الدار بعد ذلك حوالي عام ١٩٢٩م إلى المتحف الإسلامي، وبقيت مغلقة (مخزونة) لمدة خمسة عقود تقريباً، وكان كثير من كتب هذه الدار في حالة رثّة، وظلّ الوضع هكذا حتى عام ١٩٧٦م عندما ارتأت دائرة الأوقاف والمقدسات الإسلامية في القدس إحياء هذه المكتبة من جديد، لذا عملت جهدها في جمع الكتب المخزونة في المتحف الإسلامي باسم "دار كتب المسجد الأقصى"، وأضافت إليها مكتبات بعض الأسر التي تبرع بها

١ (يوسف العث. مرجع سابق صفحة: ٩٧-٩٨

٢ (ابن الفقيه، أحمد بن إبراهيم الهمذاني. كتاب البلدان. لندن: دار بريل، ١٨٨٥م، ص ١٠٠-١٠١.

٣ (نشأت الخطيب. القدس بين الدين والتاريخ. بيروت: دار الأنيس، ١٩٧٨م، ص ٢٦-٢٧. و يوسف العث. مرجع سابق صفحة: ٣٣-٣٤

٤ (يوسف العث. مرجع سابق صفحة: ٢٨

٥ (كامل جميل العسلي. معاهد العلم في بيت المقدس. مرجع سابق، صفحة، ص ٣٧٤



أصحابها، وجمعت ذلك كله في مبنى المدرسة الأشرفية السلطانية في الحرم الشريف التي بنيت في عهد السلطان قايتباي سنة ٨٨٦هـ/٤٨١م، ونقلت هذه المقتنيات في هذا المقر الجديد تحت اسم "مكتبة المسجد الأقصى"، وفتحت أبوابها للجميع وضمت المكتبة حوالي ٤٠٠٠ مجلد و ٥٠٠ مخطوط وفضلاً عن الكتب والمخطوطات العربية تضم مكتبة الأقصى عدداً كبيراً من الكتب التركية وعدداً من الجرائد والمجلات القديمة^(١).

وقد بدأت خزائن المسجد الأقصى تضم بوجه خاص أمهات الكتب وخاصة القرآن الكريم وكتب الحديث الشريف والتفسير والفقه وغيرها من الكتب الدينية، ثم تطورت هذه الخزائن مع مرور الزمن لتضم آلاف المخطوطات والكتب في العلوم الأخرى مثل: علوم العربية والحساب والمنطق والتاريخ إضافة إلى مؤلفات الذين عملوا في المسجد الأقصى عبر العصور المختلفة^(٢).

وعندما حرر صلاح الدين الأيوبي بيت المقدس أعاد حال الصخرة المشرفة كما كانت عليه قبل الحروب الصليبية وعين لها إماماً حسن القراءة، ووقف عليها الأوقاف، وحمل إليها مصاحف وختمات وربعات شريفة^(٣)، وبشكل عام، كانت المصاحف الشريفة أهم الكتب التي كان يقرأها السلاطين والأمراء على مكتبات المساجد في القدس. كذلك كان الكثير من العلماء يحرصون على إرسال نسخة من مؤلفاتهم إلى خزائن المسجد الأقصى.

ويقول العسلي: إن خزائن الكتب في الحرم المقدسي الشريف كانت موزعة بين المسجد الأقصى وقبة الصخرة، وأنه كان في كل منهما خزائن خاصة للكتب، ويدلنا على ذلك أنه كان لكل من المسجد الأقصى وقبة الصخرة خزنة للكتب أو أمناء خاصون. ويذكر السخاوي من هؤلاء شمس الدين محمد بن أحمد بن حبيب الغانمي المقدسي الذي كان خازن الكتب في المسجد الأقصى في أواسط القرن التاسع الهجري. وممن تولى أمانة الكتب في الصخرة المشرفة في القرن الحادي عشر الهجري الشيخ بشير الخليل^(٤).

ويبدو من مراجعة فهرستها أنها تحوي كتباً دينية مخطوطة قدر عددها بألف مخطوط كالمصاحف والكتابات التي تضم كافة العلوم في الأدب والفقه على المذاهب الأربعة والتفسير والحديث. ولعل أنفس ما حوته الخزنة المذكورة وأشار إليه مفهرسوها مخطوط كتاب "نشق الأزهار في عجائب الأقطار" للمؤرخ المصري ابن أبياس (٨٥٢-٩٣٠هـ)، ومخطوط "تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أشكل منه عن بواخر التصحيح والوهم" لأبي بكر الخطيب علي بن ثابت البغدادي المتوفى سنة ٤٦٤هـ/١٠٧٢م، ومخطوط "طبقات الشافعية" لتقي الدين ابن قاضي شهية الدمشقي

١ (غادة فقيه ، (٢٠٢١/٦/٢٥) ، مقال سابق .

٢ (ربحي مصطفى عليان ، (٢٠٠٧/٣/١٥) مقال سابق ، ص ٢١-٣٠ ،

٣ (مجبر الدين الحنبلي . الأئس الجليل بتاريخ القدس والخليل . - ج ١ ، ص ٣٣٩ .

٤ (كامل العسلي ، (١٩٩٠م) المكتبات في فلسطين . الموسوعة الفلسطينية : القسم الثاني : بيروت : الموسوعة ، صفحة : ٢٨٨



المتوفى سنة ٨٥١هـ / ١٤٤٨م، ومخطوط "كتاب الأقاليم" للأصحرين المتوفى سنة ٣٤٠هـ / ٩٥٢م ويقال ان المخطوط يرجع إلى القرن الخامس وأوائل السادس. وفي الخزانة نحو عشرين ألف كتاب كان أكثرها مطبوع^(١).

ب- نشأة المكتبة الخالدية:

وتعد المكتبة الخالدية في القدس أهم دور الكتب الخاصة في فلسطين وأغناها. وقد تأسست في عام ١٨٩٩ ميلادي (١٣١٨ هجري) وكانت المكتبة مدرسة آلت ملكيتها إلى السيدة خديجة الخالدي ابنة القاضي موسى أفندي الخالدي الذي كان قاضي عسكر بر الاناضول في عام ١٨٣٢، فأوصت ولدها الحاج راغب الخالدي رئيس المحكمة الشرعية في يافا (المتوفى سنة ١٩٥١) أن يقفها وينقل إليها كتب الأسرة الخالدية. فنفذ وصيتها بمشورة ومعونة الشيخ ظاهر الجزائري مؤسس المكتبة الظاهرية بدمشق والشيخ أبي الخير محمد ابن الحبال الدمشقي فوضعا فهرساً بأسماء كتبها. وقد جاء في "برنامج المكتبة الخالدية العمومية" وصف للظروف التي تم بها تأسيس المكتبة وجعلها دار كتب عامة: "وفق الله جناب الفاضل راغب أفندي الخالدي بمساعدة بعض وجهاء عائلته الكريمة وهما ياسين افندي الخالدي وموسى شفيق أفندي الخالدي إلى تشييد غرفة رحبة على جادة باب السلسلة في القدس الشريف وضواها فيها كمية وافرة مما وجد عندهم من بقية آبائهم وأجدادهم، وأضافوا إليها بعضا من الكتب الموجودة عندهم أيضا، وجعلوا الغرفة المذكورة دار علوم عمومية لمن يرغب المطالعة من أي فرد كان، وشرطوا أن لا يخرج منها كتاب حرصا على المنفعة العامة، وهي مفتوحة الأبواب لجميع الطلاب كل يوم من الصباح إلى المساء، وعينوا لها محافظاً أميناً"^(٢).

وقامت المكتبة على ما كان في حوزة أسرة الخالدي من مخطوطات وكتب جمعها جيلاً بعد جيل كل من حمد صنع الله، ومحمد علي، ويوسف ضياء باشا، والشيخ موسى شفيق، وروحي بك، وياسين وكثيرون غيرهم. وكان القصد من المكتبة أن تكون مكتبة عمومية لتعزيز نشر العلم و بعث الاهتمام بأمهات الكتب في العلوم الإسلامية وفي الموضوعات الحديثة.

وقد أكد إعلان تأسيس المكتبة الخالدية على الصلة بين المكتبات والثقافة التي ترقى إلى عصر الإغريق ومطلع العصر الإسلامي، إذ إن "العرب لما دخلت عليهم الحضارة والمدنية أسسوا المكتبات والمدارس". وأضاف الإعلان أن نشر العلم هو اساس التقدم والازدهار وإن القصد من المكتبة هو أن تكون ذخراً للديار المقدسية. وأسست المكتبة الخالدية لغرض التقدم بالعرب على طريق الازدهار برعاية العلوم وتمكينهم من مباراة المؤسسات الثقافية القوية التي انشأتها القوى الأجنبية في طول المنطقة وعرضها. وإنطلاقاً من هذا، أعلن بأن المكتبة

١ (الموسوعة الفلسطينية (في 28 أكتوبر، ٢٠١٥) مقال بعنوان المكتبات ، الموقع: <https://www.palestinapedia.net>

٢ (الموسوعة الفلسطينية (في 28 أكتوبر، ٢٠١٥) مقال سابق.



الخالدية ستكون "مكتبة عمومية". وبعد اجراء ترميم واسع النطاق، وانجاز اعمال التصنيف والتبويب والحفظ، اصبحت المكتبة اليوم جاهزة للترحيب بالعلماء من جميع انحاء العالم.

ثم تعاقب عدد من افراد آل الخالدي على الإضطلاع بمهمة مُتوليّ المكتبة او أمينها، ومنهم أحمد سامح، وحسين فخري، وعادل، وحيدر، وكامل. وأدى هؤلاء جميعاً دوراً هاماً في حفظ وصون التقليد الذي اتبعته الأسرة منذ أجيال في السير قدماً بالعلم، وتطوير المكتبة وحمايتها في الوقت ذاته^(١).

تعد المكتبة الخالدية من أهم مكتبات القدس والأكثر تنظيماً وهي من مكتبات الأوقاف أي مكتبات العائلات والأفراد الموقوفة لطلاب العلم. تقع المكتبة في مبنى أثري قديم في حي باب السلسلة، وهي تضم عدداً من المخطوطات كتبت بخطوط مؤلفيها من مشاهير العلماء إضافة إلى عدد كبير من الرسائل الخاصة وكتب مختلفة بالفارسية والتركية ومجموعة من الوثائق العثمانية في الأدب والطب والتاريخ وبلغات مختلفة. يبرز فهرس المكتبة أن الفقه كان ينال الاهتمام الأول بالإضافة إلى موضوعات أخرى كالسياسة والقانون.

وتكاد قائمة كتب المكتبة الخالدية أن تشمل كافة اهتمامات بيت المقدس العلمية والثقافية. ومما لا شك فيه أن بعض الكتب والمكتبات تعرضت للتلف والضياع نتيجة ما أصاب المدينة المقدسة من نكبات وتهجير وسرقات في محاولة لإخفاء معالم الحضارة الإسلامية وتزوير تاريخها ولكن رغم كل المعوقات والظروف الصعبة ظلت الكتب والمكتبات تلعب دورها كمؤسسات خدمات معلوماتية تساند المؤسسات التعليمية والثقافية في أداء رسالتها قدر المستطاع^(٢).

وتحتوي المكتبة على عشرة آلاف كتاب ثلثاها مخطوط وثلث من نواذر المطبوعات القديمة في العلوم العربية والإسلامية. وقد ضمت إليها خزانة الشيخ يوسف ضياء باشا الخالدي ومحمد روجي الخالدي، وضمت بعدئذ إليهما الشيخ أحمد بدوي الخالدي بالإضافة إلى ما أهدي إليها من نفائس مطبوعات المستشرقين.

وتبين من مطالعة فهرست المكتبة أنها تحتوي كتباً في التفسير والتجويد والقراءات والرسم والحديث والأصول والفتاوى والفقه الحنفي والفقه على المذاهب الأربعة والفرائض والتوحيد والتصوف والمواعظ والحكم والنحو واللغة والأدب والسياسة والقوانين والدواوين والمدائح النبوية والسيرة النبوية والمناقب والتراحم والفلك والطب والروحانيات، وفيها عدد كبير من المجامع في مختلف العلوم الدينية والدنيوية. وقد زار المكتبة سنة ١٣٣٦هـ/١٩١٧م عبد الله

(١) كتبها القدس عاصمة الثقافة العربية لعام ٢٠٠٩، في ٧ آذار ٢٠٠٨

(٢) روجي الخطيب، (١٩٧١) تهويد القدس، الجزء الثاني، عمان، ص ٢١.



مخلص فوصف في مقال نشره في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق أهم مخطوطاتها النادرة التي كُبت، ومنها ما يلي^(١):

١. المدهش للحافظ أبي الفرج ابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م.
٢. الشعور بالعبور، لخليل بن أبك الصفدي المتوفى سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م. وقد كتبت النسخة بعد وفاة المؤلف بنحو ثمانين سنة.
٣. الطبقات السنوية في تراجم الحنفية، لتقي الدين بن عبد القادر الغزي التميمي الداري المتوفى سنة ١٠١٠هـ/١٦٠١م.
٤. مختصر حياة الحيوان، لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م، وهو ملخص عن حياة الحيوان الكبرى للدميري.
٥. اختصار السيرة النبوية، للشيخ محيي الدين بن عربي المتوفى سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م.
٦. مجموعة الشيخ السبكي، لتقي الدين السبكي المتوفى سنة ٧٥٦هـ/١٣٥٥م، وهو نسخة للمؤلف خطه بغير تنقيط.
٧. اتحاف الأخصا في فضائل المسجد الأقصى، للشيخ كمال الدين محمد أبي شرف الشافعي المتوفى سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م، وقد ألفه في مجاورته القدس سنة ٨٧٥هـ/١٤٧٠م.
٨. حسن الاستقصا لما صح وثبت في المسجد الأقصى، لأحمد ابن التافلاتي، وقد ألفه سنة ١١٠٠هـ/١٦٩٩م وأهداه إلى الحاج صبح الله الخالدي.
٩. قهوة الانشاء، لابن حجة النحوي المتوفى سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م، وهو مجموع رسائله.
١٠. شاناق في السموم والترياق، الشاناق الهندي، وقد نقله من الهندية إلى الفارسية منكه الهندي ونقله إلى العربية للخليفة المأمون العباس بن سعيد الجوهري. والكتاب في معرفة السموم والترياق الذي يدفعها، وهي نسخة ملوكية.
١١. تأويل مشكل الحديث والرد على الملحدة والمعتلة وأهل الأهواء المبتدعة، املاء أبي بكر محمد بن حسن بن فورك المتوفى سنة ٦٠٤هـ/١٢٠٨م.
١٢. دمية القصر وعصره أهل العصر، لأبي الحسن علي البخاري المتوفى سنة ٤٦٧هـ/١٠٧٤م. ويعود تاريخ المخطوط إلى سنة ١١٦٦هـ/١٧٥٢م، وهو نيل لتيمة الدهر للثعالبي^(٢).

(١) الموسوعة الفلسطينية (في 28 أكتوبر، ٢٠١٥) مقال سابق.

(٢) الموسوعة الفلسطينية (في 28 أكتوبر، ٢٠١٥) مقال سابق.



ت- تأسيس مكتبة عائلة البديري^(١) :

في مدينة القدس مكتبات أهلية، تأسيس معظمها بشكلٍ فردي عرفت واشتهرت عبر تاريخ القدس وذكرها المؤرخون في كتاباتهم ومؤلفاتهم، وكانت ظاهرة تكوين المكتبات بدأت خلال القرن الحادي عشر الهجري، وكان أول مكان تنشأ فيه المكتبات بيوت العلماء والمتقنين^(٢)، ومن الملاحظ أنّ ما تبقى من مخطوطات في مدينة القدس تعود لعائلات مقدسية قطنت القدس وظهر منها علماء وشيوخ كانوا نواة في معرفة العلوم الدينية والدينية، ومن تلك المكتبات المقدسية كانت مكتبة المرحوم الشيخ محمد بن بدير المتوفى بالقدس سنة ١٢٢٠هـ، والمعروفة اليوم بالمكتبة البديرية التي عادت نبضات قلبها بالعطاء من جديد، وأضاء الوعي الثقافي عتبات محطة مهمة من محطات القدس الثقافية، وبدأ الباحثون وذوي الاهتمام بزيارة هذه المكتبة العريقة التي أحيها الأبناء بعد ركودها حقبة من الزمن نتيجة لحوادث ونكبات فلسطين^(٣).

وتقع المكتبة البديرية في الطابق الأرضي من الزاوية الوفائية الواقعة عند باب الناظر بالبلدة القديمة ومقابلة للمدرسة المنجية (دائرة الأوقاف الإسلامية)، والتي تمتد مساحتها من شارع علاء الدين البصري شمالاً وحتى وقف الشهابي جنوباً، ومن رواق الحرم القدسي شرقاً وحتى رباط الكرد غرباً، ومعظم مخطوطاتها حصيلة ما جمعه الشيخ محمد بن بدير بن محمد بن محمود بن حبيش الشافعي المقدسي الشهير بابن حبيش من مخطوطات حال حياته، حيث بلغ عدد مخطوطات هذه المكتبة ما يزيد عن ألف ومائتي مخطوطاً، ويعود أقدم مخطوط فيها إلى سنة ٥٦٢/١١٦٧م.

وثُعِدَ المكتبة البديرية واحدة من أهم المكتبات العامرة في مدينة القدس في وقتنا الحاضر نظراً لكنوزها المخطوطة، ورغم ركودها وإغلاقها زمناً طويلاً تجاوز الثمانين عاماً، إلا أنها عادت لتقوم بأداء واجبها واستئناف دورها في إحياء الحركة العلمية والفكرية والثقافية اتجاه طلبة العلم والنخبة المثقفة، ويزورها اليوم عدد من طلبة رسالة الماجستير لنقل ما فيها من معلومات دينية وعلوم دنيوية وتاريخية. ومجموعة مخطوطات هذه المكتبة هي بقايا ما تركه الشيخ محمد بن بدير وما أضيف إليها لاحقاً من مخطوطات دخلت إلى المكتبة من خلال ورثته، وهناك مجموعات متفرقة من المخطوطات أغلبها اندثر أو نقل إلى أماكن أخرى خارج فلسطين، ويعود السبب في ذلك للأحداث المأساوية التي مرّت بها فلسطين خلال العقود الستة الأخيرة، إذ تشير الموسوعة الفلسطينية إلى أنّ المكتبة

١ (يوسف العش. مرجع سابق صفحة: ٢٧٤)

٢ (يوسف العش. مرجع سابق صفحة: ١٧٤)

٣ (مدينة القدس (مؤرشف من الأصل في ٢٥ سبتمبر ٢٠٢٠) كنوز المكتبة البديرية المخطوطة في القدس - alquds-city.com.



البيدرية كانت تضم زهاء ألف مائتي مخطوط، وقد أوقف المرحوم الشيخ محمد بن بدير كتب (مخطوطات) المكتبة بموجب حجة شرعية مؤرخه في ١٩ ذي الحجة سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠ م (س.ش ٢٧٢ ص ١٤٧، من سجلات محكمة القدس الشرعية)، وقد قام مركز الوثائق والمخطوطات في الجامعة الأردنية بتصوير معظم مخطوطاتها، وكانت المكتبة وما زالت تحت إشراف رجالات العائلة منذ تأسيسها، ومن الذين أشرفوا عليها واعتنوا بها: المرحوم الشيخ موسى البديري، والمرحوم توفيق البديري، والأستاذ عبد الله البديري^(١).

ولم تلق مخطوطات المكتبة البديرية العناية الكافية أو المطلوبة، نتيجة حبسها على الرفوف وتخزينها في الصناديق عقوداً من الزمن داخل الأقبية المظلمة الغنية بالرطوبة والعفونة نتيجة العوامل الطبيعية ذات الدور الخطير في إتلاف تراث هذه المكتبة المخطوط، الأمر الذي كاد يعرضها للتآكل الجزئي، وكان تأثير هذه العوامل واضحاً من خلال تآكل وخرم في بعض أجزاءها وصفحات المخطوطات واهترأ أطرافها وذلك ما يعرضها للاندثار والضياح كلما مرت عليها السنين، حالها حال مخطوطات معظم المكتبات المقدسية، وكان لعوادي الزمن والعوامل المحيطة بالمخطوطات أدوارها التي من شأنها أن تساعد في القضاء على المخطوطات من خلال مركباتها العضوية، وحالات المخطوطات فيها متفاوتة ما بين جيدة ومتهترئة ومنحنية وبلا غلاف، إلا أن عدد المخطوطات الجيدة فيها محدودة حسب أولويات الترميم، وهناك حاجة ماسة لترميمها وحفظها وتوفير مناخ ملائم يساعد هذا النوع من التراث على البقاء.

كما وتحتوي مكتبة البديري على أعداد هائلة من (الدشت) وهي مجموعة أوراق متفرقة ومبعثرة من المخطوطات حيث تبلغ نسبتها ٥٠٪ من كمية المخطوطات.

وحتى سنة ١٩٨٧م، لم يعد هناك فهرس للمكتبة البديرية إلى أن تقدم الأستاذ خضر سلامة بوضع فهرس مخطوطات المكتبة البديرية - مكتبة الشيخ محمد بن حبيب - من قسمين، وهو يُعد المرجع الوحيد لمعرفة مخطوطات المكتبة، ويعتمد عليه الباحثون والدارسون ويقدم خدمة جليلة لطلبة العلم، حيث قام المفهرس بتفصيل موضوعات المخطوطات وتوزيعها حسب القرون الهجرية وتدور موضوعات المخطوطات حول علوم القرآن وتفسيره، الحديث ومصطلحات، أصول الدين، التصوف والأدب الشرعية، أصول الفقه، مدائح نبوية وصلوات محمدية، اللغة العربية، الأدب العربي، التاريخ، المنطق، الميقات، الحساب، الطب، وموضوعات متفرقة أخرى تقع في اثنتين وعشرين مخطوطاً، ويشير المفهرس سلامة إلى أن أكثر من خمسمائة مخطوط تتعلق بالموضوعات الدينية والعلوم اللسانية، وأن الموضوعات العلمية محدودة^(٢). وتحتوي المكتبة على عدد محدود من الكتب المطبوعة باللغتين العربية والتركية،

(١) المكتبة البديرية (مؤرخة من الأصل في ٧ يونيو ٢٠٢١) عنوان للباحثين بالقدس. www.aljazeera.net

(٢) مدينة القدس (مؤرخة في ٢٥ سبتمبر ٢٠٢٠) كنوز المكتبة البديرية المخطوطة في القدس alquds-city.com



والقسم الأكبر من هذه المطبوعات تعود إلى أواخر القرن التاسع وبداية القرن العشرين، وقد غلبت أعداد الكتب التركية على الكتب العربية، ويوحى ذلك إلى أنَّ المكتبة توقفت عن العطاء إبان دخول الانتداب البريطاني على فلسطين وغياب الدولة العثمانية، ونضيف إلى هذه المجموعة القديمة من الكتب كتباً أخرى حديثة الطبع دخلت إليها عن طريق أبناء العائلة والإهداء، وتدور موضوعات هذه الكتب في التاريخ واللغة والسياسة، والكتب التركية تدور حول أنظمة الدولة العثمانية وقوانينها.

يحتفظ في أرشيف المكتبة البديرية مجموعات مختلفة من الجرائد والمجلات وهي غير مفهرسة بعد، الجرائد المحفوظة متنوعة وتقع باللغتين العربية والتركية وهي الجرائد التي كانت تنشر في بعض المدن الفلسطينية، تقوم المكتبة على إدارة متخصصة من أبناء عائلة البديري المقدسية، حيث تطوّعت السيدة شيماء البديري لتكون أمينة المكتبة ويلازمها في إدارة المكتبة كلٌّ من عادل وراغب البديري بصفتهم مديري وقف جدهم المرحوم محمد بدير، حيث يقومون بخدمة وتطوير المكتبة وتنشيطها سعياً لنموها ولعدم ركودها حقبة أخرى من الزمن^(١).

ث- مكتبة المتحف الإسلامي في القدس:

من أهم المكتبات الرسمية المتخصصة فقد كانت مكتبة متحف الآثار الفلسطيني في القدس التي تأسست عام ١٩٣٥م، في العام نفسه الذي تم فيه بناء المتحف الذي أنشئ بترع من النثري الأمريكي (جون روكفلر). وتشغل المكتبة جانباً مهماً من المتحف وتتألف من طابقين. يضم الطابق السفلي الكتب المرتبة على رفوف معدنية حديثة، أما الطابق العلوي فيحتوي غرفة للمطالعة ويضم المراجع والدوريات والفهارس. وكانت المكتبة تضم أيام الانتداب البريطاني أكثر من ١٧ ألف كتاب بلغات مختلفة غالبيتها في مجال التاريخ والآثار، ومن بينها كتب ومخطوطات نادرة أهمها مخطوطات البحر الميت. وكانت المكتبة مصنفة ولها فهرس للمؤلفين والموضوعات. وقد استولت السلطات الإسرائيلية على المكتبة عام ١٩٦٧م^(٢).

كما تحتوي المكتبة على مخطوطات نادرة من بينها مجموعة لا تتمن من المصاحف تقدر بحوالي ٦٥٠ مصحفاً مخطوطاً ومن نواذر مقتنيات المتحف مصحف قديم كتبه محمد بن الحسن بن الإمام الحسين عليه السلام. وفي عام ١٩٨٠ أعيد تنظيم المتحف الإسلامي حتى يتسنى إنقاذه ما يمكن إنقاذه من تراث من الوثائق الإسلامية والهامة الموجودة^(٣).

Commented [D1]: محمد بن الحسن بن الإمام

١ (الشيخ محمد بن بدير الشافعي المقدسي (مؤرشف من الأصل في ٦ يونيو ٢٠٢١) مؤسسة فلسطين للثقافة

. www.thaqafa.org

٢ (ربحي مصطفى عليان، (١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م) مقال سابق، ص ٢١-٣٠،

٣ (غادة فقيه، (٢٠٢١/٦/٢٥)، مقال سابق.



ج- مكتبة الحرم الإبراهيمي:

تضم مخطوطات عديدة ومنها ما أخذت اسم مجموع، وداخل كل مجموع هناك عدد من الرسائل المستقلة. وعدد من المخطوطات العلمية. ويعود تاريخ أقدم مخطوطة فيها إلى عام ١٧٤٨هـ^(١).

ح- مكتبات الكنائس والأديرة في مدينة القدس:

لقد نشأت أوائل المكتبات المسيحية من خلال جمع مجموعة من الكتابات المسيحية في الكنائس منذ العهد الذي تلا عهد الحواريين، ذلك أن رغبة أوائل المسيحيين في جمع أقوال السيد المسيح وأقوال الحواريين، ورسائل الرسل وأوائل الأناجيل وحفظها في مكان أمين وتعليمها للأجيال اللاحقة، كل ذلك أدى إلى تأسيس مكتبات ألحقت بالكنائس فقد أسس الأسقف إسكندر مكتبة مهمة في القدس قبل سنة ٢٥٠م. وفي الوقت نفسه أسس زوريجين وبامفيلوس مكتبة مهمة في قيسارية في فلسطين^(٢) وتنتشر المكتبات في كنائس مدينة القدس وأديرتها بشكل واسع هذه الأيام وقد قامت كوسا وزميلتها روك^(٣) برصد مكتبات الكنائس والأديرة التي يزيد عدد مجموعتها عن ٣ آلاف مجلد على النحو التالي: مكتبة جولبينكيان في دير الأرمن (دير مار يعقوب) (١٩٢٩م). مكتبة المجمع العلمي الأثري البروتستانتي (١٨٩٠م).

مكتبة معهد الطنطور للدراسات اللاهوتية (١٩٧١م). مكتبة الفرنسيكان في دير اللاتين (١٥٦١م). مكتبة كنيسة القديسة آن (١٨٨٢م). مكتبة البعثة البابوية (١٩٦٠م). مكتبة بطيركية اللاتين (١٨٤٨م). مكتبة بطيركية الروم الأرثوذكس (١٨٠٠م). مكتبة بطيركية الروم الكاثوليك (١٨٩٠م). مكتبة القديس المخلص في دير اللاتين (دير الإفرنج) (١٥٥٨م)^(٤).

خ- خزائن الكتب الخاصة في القدس:

كما عرفت القدس بالإضافة إلى المكتبات العامة والبارزة مكتبات خاصة^(٥) كان من أهمها:
١. خزانة آل الخليلي بالقدس. وقد وقفها الشيخ محمد بن محمد الخليلي، مفتي الشافعية المتوفى سنة ١١٤٧هـ/١٧٣٤م. ويقال أن الشيخ الخليلي أول من حقق فكرة إيجاد مكتبة عامة في القدس استناداً إلى وقفية كتبه. وقد حفظت الكتب المذكورة في المدرسة البلدية التي كان أنشأها بباب السلسلة نائب السلطان الأمير سيف الدين منكلي بغا الأحمد المتوفى سنة ٧٨٢هـ/١٣٨١م.

١ (غادة فقيه ، (٢٥ / ٦ / ٢٠٢١) ، مقال سابق .

٢ محمد ماهر حمادة (١٩٨١م) المكتبات في العالم: تاريخها وتطورها . الرياض: دار العلوم ، ص ٩١ .

٣ فيراكوسا وفاليزي روك . (أيلول ١٩٩٤م) . مكتبات الأديرة في منطقتي القدس وبيت لحم . - رسالة المكتبة . - مج ٢٩ ، ع ٣ - ص ٦٥ - ٩٣ .

٤ دليل مراكز البحث الفلسطينية . - القدس : جمعية الدراسات العربية ، ١٩٩٤م .

٥ (يوسف العش . مرجع سابق صفحة : ٩٧ - ٩٨)



٢. خزانة عبد الله مخلص (١٨١٨-١٩٤٧م) بالقدس في حي الشيخ جراح، وقد حوت نفائس المخطوطات. ويبدو أن المكتبة نقلت بعد حوادث ١٩٤٨ إلى بعض الأديرة التي قرب سور المدينة من داخل. وقيل ان الصهيونيين نهبوا اiban معارك ١٩٤٨.
٣. خزانة آل قطية بالقدس بباب العمود: آل قطية أسرة حنبلية يقال انهم الحنابلة الوحيدون في القدس. وفي الخزانة مخطوطات نفيسة في الرياضيات والفلك والتنجيم لم يبق منها اليوم شيء.
٤. خزانة محمود الحام بضاحية سلوان (شرقي القدس) وفيها أربعة آلاف مصنف.
٥. خزانة آل فخري وقد وقفها القاضي فخر الدين أبو عبد الله محمد بن فضل ناظر الجيوش الاسلامية المتوفى سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م. وهذه الخزانة قسم من الخانقاه الفخرية المجاورة لجامع المغاربة. ويقال انها كانت تحتوي على عشرة آلاف مجلد اقتسمها أفراد الأسرة فتفوقت كتبها^(١).

(١) كامل العسلي: المكتبات في فلسطين. الموسوعة الفلسطينية: القسم الثاني: بيروت: ١٩٩٠م - مجلد ٣. ص ٢٩١



المبحث الثاني : الانتهاكات والقيود الخانقة التي يفرضها الكيان الصهيوني على مكتبات القدس :

١ - التحديات التي تواجهها المكتبات في القدس:

ان للمكتبة العامة دوراً متمماً لدور المدرسة و الجامعة ومكتباتها في رفع الجهل و تحصيل العلوم و تنوير الفكر. ^(١) ولا شك أن للكتاب وظيفة سامية في الحياة الثقافية و الفكرية لكل الشعوب التي تنبثق إلى الحرية و الاستقلال والنهضة . ولقد سعت المكتبات العامة التي تأسست في مدن فلسطين المحتلة إلى القيام بذلك الدور رغم محدودية الإمكانيات المادية و البشرية. إلا أن سلطات الاحتلال الإسرائيلي أصدرت الأوامر العسكرية لعرقلة سير المكتبات و تداول الكتب بين الناس متذرعة بالأمن.

- إدارة الاحتلال

لقد أسهمت القيود التي فرضتها إدارة الاحتلال في إعاقة نمو المكتبات وتطوير مقتنياتها. فقد أغلقت بعض المكتبات و دohمت أخرى و ألزمت على سحب الكتب التي قرر الاحتلال منعها ومنعت قواتها تداول عدد كبير من الكتب أو توريدها من الخارج أو نشرها دون ترخيص مسبق أو حملها أو نقلها خاصة عبر الحدود، و بذلك يؤكد الاحتلال سياسة التجهيل و الطمس الثقافي و المعرفي للفلسطينيين و الزج بهم إلى اللهث وراء أرزاقهم^(٢). ووفي هذا المبحث سنعرض مدى التعسف الإسرائيلي، حيث تمنع المطبوعات التي تحتوي على عبارة إسرائيل أو الصهيونية أو أي خريطة تحتوي على خريطة فلسطين أو أي عبارة في رواية أو قصيدة تنتقد ممارسة الاحتلال ضد اشعب الفلسطيني، وكذلك مؤلفات الكتاب الذين اشتهروا بمواقفهم تجاه القضية، أو كتب الفكر الإسلامي.

وبهذا يكشف العدو الصهيوني عن وجهه الحقيقي المعادي للحرية والديمقراطية والتنوير والمعتدي على الحقوق الأساسية للشعب الفلسطيني و الذي يخالف صورة الدولة المتحضرة التي تحاول ادعاءها أمام العالم^(٣). "إسرائيل" بهذا تعمل بكل ما أوتيت من غطرسة القوة على إخضاع الشعب الفلسطيني عن طريق تدميره بكل الوسائل: سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً، ونفسياً، وتعليمياً، ولكن التاريخ - وهو معلم الشعوب- أثبت قبل أكثر من ثمانمائة سنة في ظروف متشابهة من حيث تمزق الصف العربي والاحتلال الصليبي للقدس وفلسطين، كيف أن

١ (يوسف العش. مرجع سابق صفحة: ٢٧٦

٢ (طوقان، علي محمد واصف(٢٠٠١/٨/٣١) الانتهاكات الإسرائيلية للكتاب و المكتبات في فلسطين من واقع الأوامر العسكرية، ص: ٥٢٢.

٣ (طوقان، علي محمد واصف، مصدر سابق، ص: ٥٣٠.



صلاح الدين الأيوبي عقد العزم وبالإرادة والتنظيم والولاء لله والجهد في سبيله استطاع تحرير القدس، مما يحدونا أن نأخذ العبرة والاستفادة من دروس الماضي لنصنع امل الحاضر^(١).

فالسُّلطات "الإسرائيلية" الآن تمارس كافة أشكال القمع والتمييز العنصري ضدَّ المواطنين الفلسطينيين، ومست هذه الممارسات كافة جوانب الحياة خاصة منها الجانب التعليمي. وتتعرض مدينة القدس منذ عام ١٩٦٧م حتى يومنا هذا لأنواع شتى من الانتهاكات، في محاولة تهويد المدينة المقدسة -بما تمثله من قيم ورموز دينية وتاريخية وحضارية لملايين المسلمين في أنحاء العالم- وتغيير معالمها الفردية وطابعها المقدس، فقد قامت السلطات "الإسرائيلية" باتخاذ عدة قرارات متعلقة بشؤون التعليم، منها إلغاء جميع البرامج التعليمية الأردنية المطبقة في مدارس مدينة القدس واستبدالها بتزييف الحقائق التاريخية وطمس العقيدة الإسلامية وتشويهها. ولكن تأييد مواطني القدس للمناهج العربية والأردنية ودفاعهم عن نوعية التربية التي يجب أن تقدّم لأبنائهم، جعل السلطات "الإسرائيلية" تتراجع عن قرارها وتعيد المناهج الأردنية في المدارس، غير أن هذه السلطات أصرت على أن يدرس الطلاب اللغة العبرية ومساقاً آخر حول المجتمع "الإسرائيلي" إلى جانب المناهج الأردنية^(٢). ومنذ اندلاع الانتفاضة الفلسطينية الأولى في ٩ ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٨٧م، والسلطات "الإسرائيلية" تحاول عرقلة التعليم في فلسطين بشكل عام والقدس بشكل خاص، بأقصى الوسائل وأشدّها وذلك عن طريق الإغلاق القسري للمدارس والجامعات واستخدامها كتكنات عسكرية ومحاصرتها واقتحامها^(٣).

أما عن الحالة التعليمية والعلمية في القدس منذ التسعينات -مرحلة السلام- وخاصة بعد اتفاقية أوسلو عام ١٩٩٣م، فتميزت باشتداد الهجمة "الإسرائيلية" على مؤسسات التعليم والمؤسسات الأخرى العاملة في مدينة القدس الصامدة.

وتبذل سلطات الاحتلال "الإسرائيلي" جهوداً مكثفة ومتواصلة لخلق أوضاع قانونية ونفسية في القدس العربية وما حولها، تجعل من الصعب إن لم يكن من المستحيل على الفلسطينيين أن يحافظوا على وجهها العربي والإسلامي، من هذه الجهود محاولة تهويد المدينة ومصادرة الأراضي وتطويقها بمجموعة من المستوطنات الكبيرة، حتى زاد عدد اليهود القاطنين في القدس الشرقية (المدينة العربية) عن مائة وخمسين ألف نسمة^(٤).

١ (حامد الشافعي محمد دياب، مقال سابق.

2 (سفيان كمال وسليم الزعبي. احتياجات القدس عام ٢٠٠٠م في مجال التربية والتعليم. عمان (الأردن): منشورات وزارة الإعلام، ١٩٩٦م. ص ٢٦-٢٧.

٣ (حامد الشافعي محمد دياب، مقال سابق.

4 (سفيان كمال. الوضع التعليمي في مدينة القدس، مرجع سابق، ص ٨٢.



أما عن التعليم العالي في القدس فتوجد مؤسستان هما: جامعة القدس وجامعة القدس المفتوحة، بالإضافة إلى كلية الحقوق الفلسطينية، وفيها ثلاث مؤسسات للتعليم العالي المتوسط (سنتان بعد التوجيهي) كلية الإبراهيمية وكلية الأمة وكلية العلوم الإسلامية، وهذه المؤسسات جميعها تقدم خدماتها العلمية والتعليمية لحوالي (٤٠٠٠) طالب وطالبة^(١).

أما بالنسبة للمؤسسات الدينية في مدينة القدس - في هذه الفترة كلها- وخاصة المسجد الأقصى فحدث ولا حرج، حيث تقوم السلطات "الإسرائيلية" بتهديد المقدسات الإسلامية الموجودة في المدينة بالزوال والطمس والهدم، عن طريق الحفريات التي تقوم بعثتان "إسرائيليتان" بحفرها بحثاً عن الهيكل المزعوم^(٢) تحت مباني الحرم القدسي الشريف وخاصة المسجد الأقصى، والاعتداءات على الحرم القدسي الشريف كثيرة ومستمرة، سواءً عن طريق محاولات المتطرفين اليهود بالدخول إلى المسجد الأقصى والصلاة فيه، أو عن طريق الحفريات التي تنهش أساساته وقواعده، والمسلسل طويل وكبير ومستمر، ولا تزال تعشش في ذاكرتنا أحداث حريق المسجد الأقصى المبارك عام ١٩٦٩م الذي أتى على القبة ومنبر صلاح الدين فيه، وما تبع ذلك من مجازر ما زالت مستمرة حتى الآن . وهذه صورة مبسطة وموجزة لما كانت عليه الأوضاع العلمية والتعليمية في مدينة القدس خلال القرن العشرين، وهي صورة مأساوية تعرضت لها المدينة المقدسة من مؤامرات التهديم الحضاري والعلمي لطابعها وتراثها الفكري المميز^(٣).

أما بالنسبة إلى المكتبات المقدسية ، فقد كان في القدس العديد من العائلات العلمية، التي أهتمت بحفظ المخطوطات العربية القديمة، بالإضافة إلى المطبوعات النادرة، وأثرت تلك العائلات كثيراً في الهوية العربية الفلسطينية، وعلى رأسها مدينة القدس، باعتبارها مركزاً هاماً من مراكز العلم والثقافة على مدار تاريخها، وقد أنشئ العديد من المكتبات الخاصة بالعائلات المقدسية القديمة، والتي احتوت على ما جمعه هؤلاء من نفائس الكتب والمخطوطات، ولكن ما احتوته تلك المكتبات قد فقد الكثير منه وذلك لعدة أسباب على رأسها الاحتلال البريطاني ومن بعده الاحتلال الإسرائيلي لما قام به كلاهما من عمليات النهب المنظم لأهم الكتب والمخطوطات ونقلها إلى المعاهد الصهيونية. بالإضافة إلى قيام الاحتلال إلى حرق العديد من خزائن الكتب العامة والخاصة. كما قام عدد من غير أهل العلم بنهب و سرقة بعض هذه المخطوطات والكتب وهذا ما أكده الشيخ الخليلي في وقفيته المؤرخة في سنة ١١٣٩ حيث قال " أن الكتب قد قل وجودها بها (أي في الديار المقدسة) ونقلها غير أهلها وباعوها بابخس الأثمان، وما ذلك إلا لقلة اشتغالهم بالعلوم وعدم معرفتهم بالمنطوق والمفهوم، وفي موضع آخر قال الشيخ الخليلي

١ (محمد الشاذلي الخولي. دور المساجد التاريخي في التثقيف العلمي. القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٦١م، ص٧.

٢ (عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص ٧٥.

٣ (حامد الشافعي محمد دياب، مقال سابق.



" بيت المقدس كان فيه كتب كثيرة موقوفة من السلاطين، والأعيان، والأكابر، وقد استولى عليها أناس، وتصرفوا فيها بالبيع والهدايا، للأعيان."

يُضاف إلى كل ما سبق ما أخذه الغربيون من نفائس الكتب والمخطوطات التي اشتروها بابخس الأثمان في الوقت الذي لم تعرف فيه قيمة تلك الثروة من قبل العديد من الناس، كما تم تسريب كثير من كتب التراث إلى أمريكا وأوروبا حتى الآن ثمة عدد من الصناديق المليئة بالمخطوطات في عدد من الجامعات الأوروبية. وبعد الاحتلال الإسرائيلي للقدس عام ١٩٦٧ تسرب العديد من الكتب إلى الجامعة العبرية، وغيرها من مكتبات ومراكز الأبحاث الصهيونية.

٢- أنواع الانتهاكات العدوانية على مكتبات القدس:

١. مصادرة مكتبة القدس العامة حيث قامت السلطات (الإسرائيلية) مباشرة بعد الاحتلال بمصادرة هذه المكتبة بكل محتوياتها من الكتب والدوريات ونقلت ملكيتها وإدارتها من بلدية القدس العربية إلى ما يسمى بلدية القدس الموحدة، كما قامت في الوقت نفسه بمصادرة عدد من الكتب والدوريات الموجودة في المكتبة واعتبرتها ممنوعة ونقلتها إلى مكان مجهول، كما حددت نوعية الكتب والدوريات المسموح بإدخالها إلى هذه المكتبة.
٢. حظرت سلطات الاحتلال استيراد العديد من الكتب وتوزيعها ومنعت تداولها في أسواق ومكتبات القدس، ولم يقتصر الحظر على الكتب السياسية والكتب الخاصة بفلسطين والقضية الفلسطينية، بل امتد ليشمل بعض كتب التاريخ والتراجم والأدب وخاصة الشعر.
٣. فرضت سلطات الاحتلال رقابة صارمة على طباعة الكتب العربية ونشرها في القدس حيث أصدرت أوامر عسكرية بضرورة مرور أي مطبوع على دائرة الرقيب العسكري (الإسرائيلي) للاطلاع واتخاذ قرار بشأن السماح بالنشر. وقد أدى ذلك إلى انخفاض كبير وملحوظ في حركة التأليف والنشر في مدينة القدس التي تراجعت إلى الوراء.
٤. منع المكتبات في القدس الشرقية (العربية) من اقتناء كل ما تقتنيه المكتبات في القدس الغربية وتداوله، على سبيل المثال: كانت الكتب الصادرة عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية ومركز الأبحاث الفلسطيني موجودة في مكتبات الجامعات والمعاهد (الإسرائيلية) ولكنها منعت في مكتبات القدس العربية.

١ (إسحاق البديري (١٢-١٦/٨/٢٠٠٠م) (القدس بين التاريخ والسياسة والثقافة) ورقة بحث قدمت في المؤتمر الحادي عشر للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات - القاهرة ص٥٨.



٥. قامت سلطات الاحتلال (الإسرائيلي) بإغلاق العديد من المؤسسات الثقافية في القدس العربية فقد قامت بإغلاق جمعية الدراسات العربية لمدة أربع سنوات ومصادرة العديد من الكتب والوثائق مما أدى إلى إلحاق أضرار بالغة في مكتبة الجمعية وأرشيفها، كما تم إغلاق إتحاد الكتاب وغيره من المؤسسات الثقافية.
 ٦. فرض الرقابة الصارمة على الصحف والدوريات الصادرة في القدس بدعوى الحفاظ على أمن الدولة حيث ألزمت سلطات الاحتلال جميع الصحف و المجلات بضرورة إرسال كافة موادها إلى الرقيب العسكري. وقد عانت صحف القدس من هذه الإجراءات كثيراً فقد كانت عملية الشطب والحذف تصل أحياناً إلى نصف حجم الصحيفة.
 ٧. الاستيلاء على وثائق وأوراق ومستندات وسجلات المحكمة الشرعية بالقدس وتحتوي هذه المحكمة على وثائق ومعلومات على جانب كبير من الأهمية لأنها تخص حياة المسلمين في القدس منذ عام ١٥١٧م.
 ٨. اتباع سياسة الاعتقال والإبعاد وفرض الإقامة الجبرية ومنع السفر بحق العشرات من الكتاب والباحثين والأدباء والمثقفين من أبناء القدس وخاصة الذين نشطوا في الدفاع عن عروبة القدس.
 ٩. إغلاق القدس ومنع الدخول إليها وعزلها عن الضفة الغربية وقطاع غزة مما أدى إلى حرمان أساتذة الجامعات والباحثين والدارسين والطلبة من الوصول إلى مراكز الأبحاث والمكتبات في المدينة للاستفادة من الكتب والمراجع الموجودة فيها^(١).
- ويقول كامل العسلي منوهاً للانتهاكات (الإسرائيلية) للكتب والمكتبات في مدينة القدس:
١. هناك مكتبات دُمّرت جزئياً أو كلياً من جراء العمليات العسكرية، ومن تلك المكتبات مكتبة عبد الله مخلص التي خبأها في "دير القربان" في القدس فدُمّرت عندما نسف (الإسرائيليون) الدير وضاعت تحت الأنقاض. ويُقال إنّ اليهود سرقوها ونهبوها قبل النسف.
 ٢. منع استيراد الكتب ومنع تداولها في المكتبات ونشرها وقد شمل هذا الإجراء (٥٤١٠) كتاب منع تداولها منذ عام ١٩٦٧م ، وتأتي في مقدمة هذه الكتب تلك التي تتحدث عن الإسلام والقضايا العربية والقضية الفلسطينية، وتهدف سلطات الاحتلال من وراء ذلك إلى محاربة الوعي القومي وقطع الصلة بين المواطن العربي الفلسطيني وتراثه وتاريخه.
 ٣. إحراق محتويات مخازن شركة التوزيع الأردنية في القدس عام ١٩٨٣هـ.
 ٤. بسبب القيود الشديدة المفروضة على النشر فقد تقلص عدد دور النشر في الضفة الغربية من ٢٣ داراً إلى ٤ دور ثلاثة منها في مدينة القدس.

1 (إسحاق البديري بحث سابق ص:٩).



٥. منع اليهود ولم يسمحوا بإنشاء مكتبات عامة جديدة في القدس.^(١)

وفي بحثٍ حول الانتهاكات (الإسرائيلية) للكتاب والمكتبات في فلسطين من واقع الأوامر العسكرية اليهودية يقول طوقان (مدير مكتبة بلدية نابلس العامة ورئيس جمعية المكتبات والمعلومات الفلسطينية): دأبت سلطات الاحتلال (الإسرائيلي) منذ احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة عام ١٩٦٧م على فرض قيود صارمة على الحياة الثقافية والفكرية في فلسطين، حيث شددت في مراقبة حاجيات القادمين والمغادرين الشخصية وخاصة الكتب التي كانوا يحملونها حيث كانت تصدر العديد من هذه الكتب بذريعة الأمن^(٢).

وقد لعبت هذه القيود دوراً مركزياً في إعاقة نمو المكتبات العامة والمدرسية التي ألزمت بالقوة على سحب الكتب الممنوعة من على رفوفها وتسليمها إلى الإدارة العسكرية، كل ذلك أوجد فراغاً كبيراً في الحياة الثقافية وأسهم في عزلها عن العالم الخارجي، وقد بلغت الكتب التي تم مصادرتها من المواطنين بين عامي (١٩٦٧-١٩٩٠م) وتعود ملكيتها إلى مكتبة بلدية نابلس العامة (٦٥٠٠) كتاباً، وقد حاول الباحث استعراض بعض النماذج من الكتب الممنوعة ليجد أنَّ الأسباب واهية مثل استخدام كلمة فلسطين على الخارطة بدل (إسرائيل) أو ورود كلمة الكيان الصهيوني في الكتاب أو عبارة في ديوان شعر أو رواية تشير إلى ممارسات تجاه الشعب الفلسطيني^(٣).

وفي فترة احتلال القدس ١٩١٧-١٩٤٨ زاد التغلغل الاستعماري لبلاد الشام والذي اخذ إشكالا متعددة كان للناحية الثقافية نصيب كبير حيث تأثرت الحركة العلمية ومن ضمنها المكتبات تأثراً كبيراً فمُنذ تلك الفترة لم يتم افتتاح مكتبات جديدة بالإضافة الى عدم تنظيم المكتبات القديمة وكانت المكتبة الخالدية قد افتتحت قبل ذلك التاريخ بقليل وتحديداً في عام (١٩٠٠)، وقد تم بدل ذلك تأسيس عدد من المكتبات الأجنبية في أواخر العهد العثماني، حيث ادخل من خلاله مبادئ تنظيم جديدة في العمل المكتبي والتي اعتبرت جديدة في تلك الفترة، حيث حفظت الكتب في أماكن أفضل و ترتيبها على الرفوف ووجود قاعات للقراءة بالإضافة الى وضع فهارس حديثة بعض الشيء.

لقد حدث لاحتلال فلسطين في عام ١٩٤٨ من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي الى سقوط مئات المكتبات وألف المكتبات الخاصة داخل عدد لا يحصى من البيوت التي رحل عنها أهلها واستولت عليها قوات الاحتلال وقاموا بنقلها الى معاهدهم ومراكز الأبحاث الخاصة بهم، بالإضافة الى العديد من المكتبات التي هجرت والتي تعرضت للنهب والسرقة من قبل قوات الاحتلال. بالإضافة الى منع استيراد الكتب ومنع تداولها ونشرها وازداد ذلك بعد عام

١ (كامل العسلي (المكتبات في فلسطين) مرجع سابق، مجلد ٣، ص: ٢٩٦-٢٩٧.

٢ (جل هذه المادة مستفادة من بحث د. ربحي مصطفى عليان مقال سابق ص: ٢٧-٢٩

٣ (طوقان، علي محمد واصف (٢٠٠١/٨/٣١) مرجع سابق، ص: ٥٢٢-٥٣٠.



١٩٦٧ واحتلال باقي الأراضي الفلسطينية في تلك الفترة. ونذكر من أهم المكتبات التي تعرضت للسرقة والنهب في تلك الفترة:

١. المكتبة الخليلية للشيخ عبد المعطي الخليلي مفتي الشافعية في القدس ومن علماء المسجد الأقصى ويقدر عدد محتوياتها ب ٧٠٠٠ مجلد.
٢. دار الكتب الفخرية ويعود وقفها الى القاضي فخر الدين عبد الله بن محمد بن فضل الله، وقد بلغ عدد كتبها تقريبا عشرة آلاف مجلد.
٣. مكتبة عبد الله مخلص وتعرف باسم خزانة عبد الله بك مخلص وقد عدد مجلداتها ب ٣٠٠٠ مجلد منها ١٢٠ مخطوطاً.
٤. خزانة آل قطينة وتنسب هذه المكتبة الى الأسرة الحنبلية الوحيدة والذين يعود نسبهم الى مجير الدين الحنبلي صاحب "تاريخ القدس والخليل" وكان عدد مقتنياتها الى ٤٠٠٠ مجلد منها مخطوطات نفيسة في الرياضيات والفلك والتنجيم.
٥. مكتبة الشيخ حسام جار الله والتي كانت تضم ما يقارب ٢٠٠٠ كتاب و مخطوط في العلوم الإسلامية والعربية ومن بينها مخطوط قرآن مجلد بجلد الغزال وقد سرقت المكتبة عام ١٩٤٨ من قبل قوات الاحتلال الإسرائيلي.
٦. مكتبة إسحاق موسى الحسيني التي احترقت .
٧. مكتبة فهمي الأنصاري.
٨. مكتبة مروان العسلي التي كانت تضم ٤٥٠٠ مجلد وقد جمع منها الدكتور إسحاق موسى الحسيني زهاء ٥٠٠ مخطوط من أماكن متفرقة وهي توجد الآن في كلية الآداب للبنات في القدس.
٩. خزانة آل البديري.
١٠. خزانة الشيخ محمود اللحام.
١١. مكتبة حسن الترجمان التي أسسها حسن الترجمان الصالح وبلغ عدد المجلدات بها ما يقارب ٣٠٠٠ مجلد منها ٩٠٠ مخطوط.
١٢. دار الكتب الخالدية والتي تعد من أعظم دور كتب القدس تقع في خط باب السلسلة وهي المدرسة المعروفة باسم بركة خان، وقد وصل عدد كتب المكتبة الخالدية الى ما يقارب ٤٠٠٠ مجلد ثلثاها مخطوطات نادرة وعدد من نفائس المطبوعات التي جلبها عدد من المستشرقين. وفيها يقول أديب فلسطين عجاج نويهض في كتابه:





رجال حول فلسطين^(١) واصفاً الخالدية ما نصه (هي المكتبة الوحيدة في فلسطين جمعت فيها حصة كبيرة من تراث الذهن العربي القديم فكتبها قيمة نادرة).

وإن مكتبة بهذه النفاسة والندرة بمكان لما تحويه بين رفوفها من أمات النفائس والنفائس مما يشد لها الرحال لخلق بأعداء هذا التراث من يهود ومستشرقين وغيرهم أن يكيدوا لهذه المكتبة ويناصبوا العداء مدبرين أبشع الحيل وأشنعها للقضاء على هذه المكتبة. وقد مرّت المكتبة الخالدية منذ عام ١٩٦٧م في ثلاثة أطوار:

الأول: من ١٩٦٧ إلى عام ١٩٨٢م، وفيه جابهت المكتبة محاولات "إسرائيلية" متكررة لمصادرتها أو الاستيلاء عليها.

والثاني: من ١٩٨٢ إلى ١٩٩٠م وفيه خاضت الخالدية معارك قضائية في المحاكم "الإسرائيلية" دفاعاً عن حقوقها ووجودها.

والثالث: من ١٩٩٠ إلى يوم الحاضر، وقد شهد بروز جمعية أصدقاء المكتبة وتبنيها لبرامج طموحة للحفاظ عليها وتميئتها.

الطور الأول: من ١٩٦٧ إلى ١٩٨٢م:

كان هذا أقصى الأطوار وأخطرها، ذلك أن "إسرائيل" فور احتلالها للقدس الشرقية أخذت في مصادرة الأحياء الإسلامية الواقعة في الجنوب الشرقي من البلدة القديمة مقابل حائط البراق الذي يعده اليهود حائط مبكاهم. وكان طريق باب السلسلة حيث تقع المكتبة على جانبه القبلي يحّد هذه الأحياء المصادرة من الشمال، وشرعت "إسرائيل" لتوها في هدم وجرف أحد هذه الأحياء بكامله وطرد سكانه منه وهو حيّ المغاربة، وهو الأقرب لما من الخالدية وحائط البراق، وكان الملك الأفضل بن صلاح الدين الأيوبي قد وقف بعضه لجهة البر سنة ٥٨٩هـ/١١٩٣م، ووقف معظمه لاحقاً سنة ٧٢٠هـ/١٣٢٠م على الحجاج المغاربة المجاورين للمسجد الأقصى أحد حفدة أبي مدين شعيب بن حسين المغربي، الغوث، القطب التلمساني (ت ٥٩٤هـ/١١٩٨م)، وكانت زاوية أبي مدين التي أزيلت مع الحي على بعد أمتار من الخالدية^(٢)

وكانت معظم الأحياء المصادرة تابعة لأوقاف العوائل المقدسية الإسلامية. وكانت "حصة" آل الخالدي من الخسارة الجماعية ما ينيف على ٤٠ عقاراً من منازل وشقق ودكاكين استولت "إسرائيل" عليها، بما في ذلك منزل القاضي موسى بن محمد بن خليل بن صنع الله الكبير والد السيدة طرفندة خاتون، وشمل قرار المصادرة مبني المكتبة

١ (عاج نوهيضي، ١٩٨٣) مصدر سابق، ص: ٧١.

٢ (العسلي، معاهد العلم في بيت المقدس، المرجع السابق، ص: ٣٨٤،



ذاته، واحتلّ الجنود "الإسرائيليون" الطابق العلوي الشرقي المطلّ على ساحتها والتابع لأوقاف العائلة أيضاً، وألصق على بابها بيان مصادرة باعتبارها من أملاك الغائبين ولم يكن متولي الأوقاف العائلية المهندس عادل بن حسين فخري حينذاك في القدس، فقام مقامه حيدر بن كامل بن عبد الرحمن بن محمد علي الخالدي، وكامل هذا هو أخو نظيف السالف الذكر وتمكّن حيدر بمفرده وبما منّ الله عليه من قوة الإيمان والعزيمة وبما لديه من وثائق، من التصدي لقرار المصادرة وإثبات بطلان الادعاء بكون المكتبة من أملاك الغائبين، فأنفذ بذلك المكتبة من ضياع محتوم.

وما لبث حيدر أن ألف لجنة محلية لتعينه على حماية المكتبة، وكانت اللجنة مؤلفة منه ومن ابن عمه حازم وابنه (أي ابن حيدر) كامل وابنته الأنسة هيفاء وصديق العائلة عبد الله العكاوي المقدسي. وكان أول عمل تولّته اللجنة هو القيام بجرد محتويات المكتبة من مخطوطات ومطبوعات، وانتهى هذا الجرد عام ١٩٦٨م، وتبيّن أن موجودات المكتبة مؤلفة من ١٢٩٣ مخطوطة، ٤٧٤٠ كتب مطبوعة، أي ما مجموعه ٥٩٩٧ مجلداً، وأن عدد مطبوع باللغة العربية هو ٣١٣٥ مجلداً وباللغة الأجنبية ١٥٦٩ مجلداً. ولم تنته المحاولات "الإسرائيلية" للاستيلاء على المكتبة بالطعن الموقّف في الادعاء بكونها من أملاك الغائبين. فمنذ أواخر السبعينات أخذ مدنيون من اليهود يحلّون تدريجياً مكان الجنود "الإسرائيليين" المحتلين للطابق العلوي الشرقي المشرف على ساحة المكتبة. وتبيّن بعد قليل أن هؤلاء هم طليعة مدرسة تلمودية (ياشيفا بالعبرية) تابعة لحركة دينية من غلاة الغلاة على رأسها الحاخام غورين كبير حاخامي الجيش "الإسرائيلي" سابقاً. وما هي إلا بضعة أشهر حتى بوشر في أعمال بناء أخذت بتشييد طابق ثالث فوق الطابق العلوي الشرقي المحتل، ثم بالالتفاف من حول ساحة المكتبة من الناحية القبلية وبناء جناح ثانٍ للمدرسة التلمودية أخذ يعلو شيئاً فشيئاً فوق حائط الساحة من هذه الناحية، وإذ بنوا فذ فتحت فتطّل على الساحة، وبشمعدانٍ ضخّم ذي سبعة أعمدة يرتفع فجأة على سطح هذا الجناح وعلى رأس كلّ من الأعمدة مشعل كهربائي كبير، أخبرنا العاملون أن إضاءتها مقابل حائط البراق^(١) إنما ترمز إلى برنامج حركة الحاخام الدينية وطموحها لإعادة بناء الهيكل^(٢) في ساحة الحرم المسجد الأقصى.

(١) عبد الحليم محمود، مرجع سابق، ص ٦٨، ٦٩.

(٢) أحمد سوسة (١٩٧٨م) العرب واليهود في التاريخ، ط ٢ المقدمة



ورافق حركة البناء هذه قذفٌ متراكم على ساحة المكتبة للردم الناتج عن البناء وقاذوراته، وكانت الساحة تضم قبور ثلاثة من أمراء الخوارزميين الذين وفدوا إلى المشرق للمشاركة في قتال الإفرنج وكانت وفاتهم بين عامي ٦٤٤ و٦٧٨ هـ/ ١٢٤٦ و١٢٧٩ م^(١).

الطور الثاني: ١٩٨٢-١٩٩٠م:

لم يعد في أوائل الثمانينات أي مجالٍ للشك في أنَّ الحاخام غورين عقد النية على الاستيلاء على المكتبة بهذه الأساليب، بعد إخفاق محاولة المصادرة، وأنَّ جُلَّ ما يقف دون ذلك هو حيدر وأعضاء لجنته معدومو الإمكانات بسبب ما حلَّ بأوقاف العائلة من خسائر جسيمة. فتَمَّ الاتصال بكاتب هذه المقدمة وليد بن أحمد سامح بن الحاج راغب، واتفق على إنشاء صندوق خاص لجمع التبرعات، وعلى خطة عمل ينفق عليها من أموال الصندوق، وتضمنت خطة العمل التحرك على خطَّين متوازيين:

أولهما: اللجوء إلى المحاكم المحلية في محاوله لإيقاف الحاخام عند حدِّه إنَّ أمكن.

والثاني: مباشرة العمل على ترميم المكتبة ومحتوياتها إثباتاً للوجود واستباقاً لمشروعات الحاخام.

وتألَّفت لجنة عائلية مصغرة لهذا الغرض ضمَّت كلاً من حيدر بن كامل من الداخل، ووليد بن أحمد سامح

والمهندس منذر بن ثابت بن نظيف والدكتور رشيد بن إسماعيل بن الحاج راغب من المقيمين في الشتات.

وتلقَّى الصندوق الخاص تبرعات جاءت على التوالي من الحاجة فاطمة بنت الحاج راغب عن طريق ابنها

هاني بن محمد سلام البيروتية، ومن منذر وأخيه الأكبر نظيف الخالدي، ومن الصديق المحسن ورجل الأعمال

الفلسطيني حسيب الصبَّاح، ومن سمو الأمير الحسن بن طلال ومن موسى شفيق بن جميل بن موسى شفيق

الخالدي، وموسى شفيق الجد هذا كان من مؤسس المكتبة في أواخر القرن الماضي كما أسلفنا.

وتتفيذاً للخطة المتفق عليها قدِّمت الشكوى ضدَّ الحاخام بشأن إلقائه الردم على الساحة وفتح النوافذ في الحائط

القبلي. وبعد طور تدبُّر وتداول من قبل المحكمة وزيارة أعضاء المجلس البلدي "الإسرائيلي" بأسره بمن فيهم رئيس

البلدية والقاضية رئيسة المحكمة بنفسها لموقع المكتبة، لم يسعُ المحكمة إلا أن تحكم في صالح المكتبة وتأمُر

الحاخام بسد النوافذ وإزالة الردم والإقلاع عن إلقائه مجدداً.

١ (نشر العسلي الكتابات التي على شواهد القبور الثلاثة في صحن التربة في كتابه **معاهد العلم في بيت المقدس**، ص ٣٨٦، وانظر أيضاً وصفاً شاملاً لمبنى تربة بركة خان وهي موقع الخالدية وثاني أقدم بناء مملوكي بالقدس في الكتاب الموسوعي **Mameluke Jerusalem by M.H J Burgoyne** من المنشورات المهرجان العالمي الإسلامي، لندن ١٩٨٧م، ص ١٠٩-١١٧.



بيد أنه عندما حاولت اللجنة العائلية تنفيذ خطة الترميم لأبنية المكتبة اعترض الحاخام ومؤسسات استيطانية بتحريض منه على ذلك، تارةً بحجة أن الترميم يهدد سلامة الطوابق التي بناها الحاخام، وتارةً بحجة أن المكتبة في حال فتحها تشكل خطراً أمنياً على مدرسته التلمودية وتارةً بحجة أحقية المكتبة التلمودية تملك المكتبة! وطالت المقاضاة سنوات عدة في كرّ وفرّ دائمين. ولكن كانت النتيجة أن المحكمة لم يسعها أخيراً إلا أن تحكم ثانياً لصالح المكتبة وتدحض ادعاءات الحاخام وحلفائه.

وما إن انتهت المعركة مع الحاخام حتى بدأت المعركة مع البلدية ذاتها ولجانها المتخصصة العديدة للحصول على الإذن بالبداية بأعمال الترميم. وماطلت البلدية ولجانها ما استطاعت ولسنوات عدة، وبذرائع وأسباب مختلفة بعضها جماليّ الإدعاء وبعضها فني وببيروقراطي مختلق قبل منح الإذن أخيراً، بحيث لم يتسنّ البدء في أعمال ترميم أبنية المكتبة إلا في أواخر الثمانينات.

وفي هذه الأثناء تقدّم حيدر في السن وضعف بصره واضطر ابنه كامل إلى الانتقال إلى عمان لممارسة عمله هناك. وفي عام ١٩٨٠م توفي حازم الخالدي مساعد حيدر الأيمن، ذلك أن حازماً رحمه الله كان صلب العود، انضم ضابطاً إلى الجيش البريطاني في مصر خلال الحرب العالمية الثانية وارتقى في الرتب حتى وصل إلى رتبة عميد (ميجور) بنهاية الحرب، وكلف من قبل الجامعة العربية خلال حرب ١٩٤٨م برئاسة مدرسة حربية في سوريا لتدريب الضباط الفلسطينيين، وهي المدرسة التي تخرج منها العديد من ضباط جيش التحرير الفلسطينيين فيما بعد. وبوفاة حازم لم يبق من أفراد العائلة القادرين بالقدس لمساعدة حيدر سوى ابنته الأنسة هيفاء، وقامت هيفاء ولا تزال تقوم بالواجب خير قيام، وحافظت بذلك على تقاليد سيدات العائلة بالإسهام في رعاية المكتبة.

ولم تكن مهمة هيفاء سهلة، ذلك أنه تخلّت سني المقاضاة والسعي للحصول من البلدية على إذن بالترميم، مضايقات من المستوطنين المسلحين اليهود بتحريض من الحاخام غورين ومن غيره، واتخذت هذه المضايقات مرات عديدة شكل زيارات في أواخر الليل وأوائل الفجر لمنزل حيدر المجاور للمكتبة، يطرق خلالها الباب بإعقاب البنادق ويعلو فيها صمت التهديد والشتن، حتى أنه في إحدى الزيارات رافق أفراد من الشرطة "الإسرائيلية" المستوطنين وأصرّوا على استلام مفتاح المكتبة ثم أعادوه بعد مرور أيام.

وكانت هيفاء التي تتصدى لهذه الزيارات والمناورات وتتلقاها نيابةً عن أبيها المريض المسن بشجاعة ورباطة جأش اشتهرت بهما.

ولا بد أن نذكر في هذا الصدد أن المكتبة تلقت عوناً في محتنها مع الحاخام غورين ومع بلدية القدس من عالمين "إسرائيليين"، هما الدكتور أمنون كوهين والدكتور داني باهات اللذين أسهما في إقناع المحكمة ولجان البلدية بما أدليا به من معلومات وشهادات بصفة موقف القائمين على المكتبة، كما ساعدت في هذا الاتجاه أيضاً



الاتصالات التي قامت بها اللجنة العائلية مع وزارة الخارجية الأمريكية وقنصل أمريكا العام بالقدس، وقرّر خلال هذه الفترة تسمية اللجنة العائلية بـ "جمعية أصدقاء المكتبة الخالدية" وإضافة أعضاء آخرين إليها ومن خارجها ودعمها بمجلس استشاري أكاديمي رفيع المستوى مؤلف من كبار المستشرقين المتعاطفين في الجامعات الأوروبية والأمريكية. وتقرّر هذه الفترة أيضاً عدم انتظار نتيجة المقاضاة في المحاكم أو إصدار إذن من البلدية بالبدا في الترميم، والمضي في عمليّتين لا تحتاج إلى موافقة السلطات "الإسرائيلية"، وهما دراسة إعداد فهرس عصريّ لمخطوطات المكتبة، ومباشرة ترميم المخطوطات وصيانتها وفق أحدث الأساليب العلمية. وهكذا تمّ الاتفاق عام ١٩٨٥م مع المستشرق الأمريكي الدكتور لورنس كونراد لدراسة مشروع الفهرس، ومع توني بيش الخبير البريطاني في ترميم المخطوطات عام ١٩٨٦م، وأنفقت "جمعية أصدقاء المكتبة" من صندوقها على زيارات سنوية للمكتبة قام بها كلّ من كونراد وبيش خلال الأعوام ١٩٨٥-١٩٨٦م، وكانا يمكثان في القدس فترات تتراوح كلّ منها الأسبوعين والشهر الواحد، وكان في بعض الأحيان يرافقهما بعض المساعدين. وتمكّن كونراد خلال هذه الزيارات من تكوين نظرة إجمالية عن عدد لا بأس به من المخطوطات، وبوضع قائمة أولية بها^(١). ثم إنه أثناء التمهيد لأعمال الترميم اكتشف عام ١٩٨٧م تحت السقف القرميدي للمكتبة مجموعة ضخمة من الأوراق من مختلف الأحجام يزيد عددها على ١٠,٠٠٠ ورقة هي خليط من النّشت والأوراق الشخصية والوثائق الرسمية وصفحات المخطوطات المبعثرة فقام كونراد بتصنيفها وجمعها، وعثر من خلال ذلك على مخطوطات قيمة كاملة وأجزاء مكتملة لغيرها^(٢). أمّا توني بيش فقد أشرف على تبخير مجموعة مخطوطات بكاملها وعلى فتح وتنظيف كل مخطوطة منها على حدة ووضعها في صندوق خاص مادته عازلة تصون المخطوط عن الرطوبة والحموضة^(٣) وفي ١٩٨٩م، تمّ تشكيل مجلس أمناء جمعية أصدقاء المكتبة من وليد أحمد سامح الخالدي، وكامل حيدر الخالدي، ومنذر بن ثابت الخالدي، والدكتور رشيد إسماعيل الخالدي، والدكتور بنيامين بروان الأمريكي، والسيدة

(١) ضع لورنس كونراد أيضاً بالاشتراك مع بريارا كيلنر .

Ottoman، دراسة بعنوان Barbara Kellner-Heinke Resources in the Khalidi Library in Jerusalem, Proceedings of the Ninth Symposium of Pre- Ottoman and Ottoman studies. Ed. By Amnon Cohen and anny singer , Jerusalem: Magnes لوتشمل هذه الدراسة إضافة إلى وصف المخطوطات الخالدية العربية وصفا لـ ١٨ مخطوط بالفارسية و ٣٦ مخطوطة بالتركية من موجودات الخالدية، وكانت السيدة بريارا كلنر هينكلي شريكة كونراد في هذه الدراسة قد زارت المكتبة بدعوة من جمعية أصدقاء المكتبة الخالدية، وكان العالمان Donald P. Little and A. UnerTurgay قبل كونراد وهينكلي قد وضع بحثاً من وثائق عن ٤٦ وثيقة عثمانية مختارة من وثائق الخالدية نشر في مجلة الألمانية. Die 1980,20welt des Islam.

(٢) وصف كونراد هذا الكشف في المرجع ذاته، أي في دراسة المشتركة مع هينكلي.

(٣) نشر توني بيش وصفاً لأعمال الترميم التي قام بها أثناء زيارته إلى المكتبة بعنوان "صيانة محتويات مكتبة الخالدية بالقدس" في صيانة وحفظ المخطوطات الإسلامية، من أعمال المؤتمر الثالث لمؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٩٩٨، ٣٩-٤٤.





بربارا إك الأمريكية أيضاً، وسجلت كمؤسسة مُعفاة من الضرائب بموجب قوانين ولاية مساتشوستس في الولايات المتحدة، وانضمت إليها في الوقت لاحقاً سمو الأميرة غيدا طلال حفيدة الحاجة فاطمة ابنة الحاج راغب الخالدي. وفي الوقت نفسه تألف مجلس استشاري أكاديمي دولي لمجلس الأمناء أعضاؤه الآن هم: السفير المستشرق الدكتور نيكولاس بيخمان (سفير هولندا لدى الحلف الأطلسي)، والدكتور نظمي الجعبة (الأستاذ في جامعة بيرزيت في فلسطين)، والدكتور رشيد إسماعيل الخالدي (الأستاذ في جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة)، والدكتور طريف أحمد سامح الخالدي (الأستاذ بجامعة كمبريدج في بريطانيا)، الدكتور فرد دونر (الأستاذ في جامعة شيكاغو)، والدكتور غيرنوت روتر (الأستاذ في جامعة هامبورغ في ألمانيا)، والدكتور أدريه ريمون (الأستاذ في جامعة إيكس أون بروفنس في فرنسا)، والدكتور جوزيف فان إيس (الأستاذ في جامعة توبينغن في ألمانيا، والأب توماس ميشيل (من الفاتيكان).

وفي صيف عام ١٩٩١م، حصل الدكتور رشيد إسماعيل الخالدي على إحدى زمالات فولبرايت الأمريكية مكنته من أن يقضي عطلته بالقدس لثلاث سنوات متعاقبة، حيث أقام في الشقة للزائرين ملحقة بالمكتبة، وكتب على دراسة موجوداتها من الأوراق والوثائق العائلية. وشكلت هذه مصدراً أساسياً للكتاب المرجعي الذي وضعه بالإنكليزية عن الهوية الوطنية الفلسطينية الذي نشرته له جامعة كولومبيا بنيويورك عام ١٩٩٧م^(١).
أما الآن في ٢٠٢١ وفي مشهد ينتهك كافة الحقوق الإنسانية والقانونية والعلمية، عمدت طائرات الاحتلال الإسرائيلي على نثر الدمار واغتيال الكتاب والثقافة الفلسطينية، بتدمير العديد من المكتبات في قطاع غزة. تناثرت بين الركام ودفنت في باطن الأرض بفعل القنابل الإسرائيلية الضخمة التي ألقيت عليها فجر الثلاثاء الماضي، حيث دمرت صواريخ الاحتلال مكتبة "منصور" ومكتبة "أقرأ" بالكامل، إضافة إلى أضرار بالغة لحقت بالعديد من المكتبات المجاورة^(٢).

مالك "مكتبة ومطبعة منصور" في غزة سمير منصور (٥٣ عاماً)، ظهرت عليه علامات الألم والحزن، وأوضح أن تدمير الاحتلال للمكتبات ودور النشر، "يهدف إلى القضاء على الثقافة والمعرفة التي توفرها تلك الكتب المتنوعة في مختلف مجالات المعرفة التي تساهم في بناء حياة كريمة للإنسان". وأضاف في حديثه لـ "عربي ٢١":

١ (رشيد الخالدي. 1997 Palestinian Identity. NY . Columbia University Press.

تتبيه: من قولنا (المكتبة منذ سنة ١٩٦٧) إلى آخر المقال مستفاد من بحث الدكتور أحمد الخالدي المعنون بـ(المكتبة الخالدية في القدس).

٢ (أحمد صقر ، مقال تحت عنوان: مكتبات تدمرت.. الاحتلال استهدف الكتاب والثقافة في غزة نشر على موقع غزة- عربي ٢١ في

٢٤/٥/٢٠٢١

https://arabi21.com



"المكتبة أساس في الحياة، فهي مثل الأكل والشرب للإنسان"، متسائلاً باستهجان وتساؤل العارف: "ما علاقة المكتبة والكتب كي تستهدف بالصواريخ الإسرائيلية؟"

وفي وصف ينم عن مدى الألم الذي لحق بمنصور، قال: "المكتبة مثل الروح الجميلة المسالمة، فهي تزرع الخير في كافة جوانب الحياة، وهي تضم كتباً في شتى مجالات المعرفة، بلغ عددها ١٠٠ ألف كتاب"^(١). وشدد على أنه لن يسمح للاحتلال بـ"اغتيال الكتاب والثقافة الفلسطينية"، ونوه إلى أنه يعمل منذ يوم تدمير المكتبة فجر الثلاثاء الماضي، على إعادة بناء المكتبة، وافتتاح فروع لها في مختلف محافظات القطاع وفي فلسطين. وأضاف: "هذه المكتبة مثل ولد من أولادي، لقد ورثت هذا العمل عن والدي، وسأستمر في العمل فيه وأورثه لأولادي"، موضحاً أن "المكتبة كانت تضم العديد من الموسوعات والكتب النادرة الخاصة بالأطفال، إضافة إلى كتب خاصة قمنا بترجمتها عن كتب أجنبية وغيرها الكثير"^(٢).

ولفت إلى أن مكتبة ودار نشر منصور، تقوم بطباعة العديد من الكتب وتعمل على توزيعها في العديد من الدول العربية، مشدداً على أنه "لا استسلام أبداً، المكتبة أيضاً هي مصدر رزقنا، ولدينا (١٥) موظفا يعملون في المكتبة، كيف لي أن أستسلم وهؤلاء وعائلاتهم يعيشون من عملهم في المكتبة؟ لا استسلام". كما وأكد مالك المكتبة التي كانت تقع في شارع "الثلاثيني" في عمارة كحيل التي دمرها الاحتلال، أنه ينوي تأسيس مكتبة أكبر وأضخم من تلك التي دمرتها صواريخ الاحتلال.

وفي تعليقه على ما قام به الاحتلال، أوضح الأمين العام للاتحاد العام للكتاب والأدباء الفلسطينيين، الشاعر مراد السوداني، أن "هذا العدوان امتد وتمدد لي طال كل مكونات الحياة الفلسطينية من الماء إلى الماء، باستهداف للوعي وللذاكرة والتاريخ وللواقع الذي حوله إلى شظايا وإلى نثار". وأضاف في حديثه لـ"عربي ٢١"، أن "المكتبات لم تسلم من هذا الاستهداف؛ في محاولة لاستباحة الوعي الجماعي الفلسطيني، من خلال استباحة ذاكرة الشعب الفلسطيني وأرشفه.

الخاتمة:

تميزت الحضارة العربية الإسلامية باحتضانها لمختلف التيارات الفكرية والسياسية وقد امتدّت في عالم واسع جداً، مما جعلها إحدى الحضارات الإنسانية التي سادت خلال قرون عديدة من الزمن"^(٣). هذه الحضارة التي تعددت أصول نشأتها وتكاثرت مصادرها، اعتبرت الكتاب هادياً لها وكنزاً ثميناً، فاعتمدت عليه

١ (أحمد صقر ، المقال نفسه.

٢ (أحمد صقر ، المقال نفسه.

٣ (يوسف العش. مرجع سابق، ص: ١٩



وأهتمت به شكلاً ومضموناً وحفظاً، بشكلٍ فاق كلَّ الحضارات السابقة، وكان من مظاهر هذا الاهتمام إنشاء المكتبات - بكل أنواعها- باعتبارها الموقل الأول الذي تؤول إليه الكتب وتسكن في جنباته. ولقد تعددت عواصم الحضارة الإسلامية ومراكزها، وكانت مدينة القدس طليعة هذه العواصم ومن أهم مراكزها، على مدى عصور متطاولة، منذ انبلاج نور الإسلام فيها حتى نهايات العهد العثماني. وكان المسجد الأقصى الذي بارك الله تعالى حوله مصدر مشع للعلم وأول معهد في بيت المقدس تجتمع فيه العلماء من المدرسين، فقد كان عماد الحركة الفكرية آنذاك، وكانت له رسالة علمية، قام بها وأداها حقاً على خير وجه وقد تميزت باحتوائها على عدد كبير من المكتبات وخزائن الكتب بكل أنواعها.

وبعد نكبة ١٩٤٨، دأبت سلطات الاحتلال الاسرائيلي بالعمل على فرض قيود صارمة، على الحياة الثقافية والفكرية في فلسطين عامة وفي القدس بشكل خاص، حيث شددت في مراقبة الحاجيات الشخصية للقادمين والمغادرين وخاصة الكتب التي كانوا يحملونها، فصادرت العديد منها بذريعة الأمن. ولعبت هذه القيود دوراً مركزياً في إعاقة نمو المكتبات العامة والخاصة واغنائها بما هو جديد لتطويرها، مما أوجد فراغاً كبيراً في الحياة الثقافية وأسهم في عزل الشعب الفلسطيني عن العالم الخارجي.

فبالإضافة إلى وحشية المعارك العسكرية والاجتماعية والاقتصادية، فإن مدينة القدس تواجه معركة حضارية تُعد من أضخم ما عرفته في أي وقت من تاريخها، ألا وهي التصفية الحضارية والتفريغ الثقافي وعمليات التهويد، لقد عمل الاحتلال اليهودي ولا يزال يعمل بكل صفاقة على محو الحضارة العربية الإسلامية وطمس معالمها في مدينة القدس^(١).

الخاتمة:

نلاحظ في نهاية عرض هذا البحث أن الحضارة العربية الإسلامية التي كانت صديقة الشمس علماً ونوراً وتراثاً وحسن إدارة لمختلف أنواع الملل والشعوب، قد ورثتها همجية عنصرية متوحشة رفضت الآخر وجوداً وتاريخاً وعلماً وفكراً، فاطفأت أو حاولت طمس حضارته بطمس تاريخه وحاضره لتقتل مستقبله وتسيطر عليه وتستغل ثرواته بكافة الأشكال .

- الاستنتاجات:

بشكل عام تواجه المكتبات في مدينة القدس -والتي كانت تحتوي على كنوز من المخطوطات والكتب في جميع المجالات العلمية المتنوعة- مجموعة من المشكلات التقليدية التي تواجه المكتبات في معظم المدن العربية والإسلامية والتي تتلخص في النقاط التالية:

(١) حامد الشافعي محمد دياب، مقال سابق.



١. الفقر في المقتنيات والمصادر في شكلها التقليدي (المواد المطبوعة) بشكل عام وفي شكلها غير التقليدي (المواد السمعية والبصرية والمصغرات الفيلمية والمصادر الإلكترونية) بشكل خاص.
٢. الغياب الواضح للكادر البشري المتخصص والمدرب والمؤهل في علوم المكتبات والتوثيق والمعلومات.
٣. فقر الميزانية والمخصصات المالية وغياب الدعم المادي المناسب.
٤. وإضافة الى ذلك وإهمها العدوان الحربي الغاشم على تراثها وثقافتها وهويتها العربية الاسلامية. مما يجعلها في حرب دفاع دائمة بدل ان تكون مركز سلم واشعاع هادئ تستير منه الجيل الجديد.

- التوصيات:

في ضوء النتائج السابقة توصي الدراسة بما يلي:

١. حث المجتمع العربي والمنظمات الدولية على انقاذ ما بقي من تراث فلسطين المحتلة ومدينة القدس عبر حماية كنوزها العلمية والثقافية من تغطرس واعتداءات الاحتلال.
٢. تخصيص ميزانية سنوية مناسبة للمكتبات المقدسية مدعومة من المؤسسات الحكومية و الاهلية في العالم العربي والاسلامي لاستخدامها كأداة لمقاومة الاحتلال ودعم المكتبات المقدسية وموظفيها ذلك لتسيير دولا العمل بها.
٣. إنشاء صندوق خاص لجمع التبرعات من اجل تحديث عمل المكتبات في القدس و من اجل مساعدة الفلسطينيين في الثبات والمقاومة في ارضهم والحفاظ على ارثهم الحضاري بوجه الانتهاكات والعدوان.
٤. انشاء مؤسسات قضائية وقانوني مدعومة من المجتمع الدولي والعربي لدعم حقوق المكتبات المقدسية .
٥. ضرورة الاهتمام بأثاث المكتبات وتجديده وفق المواصفات الدولية، لمواكبة التطورات الحديثة وتهيئة الجو المناسب للرواد وهذا ما يدعم الاقبال على المكتبات ويدحض اهداف الاحتلال.





المصادر والمراجع:

١. إبراهيم الدقاق، (١٩٩٣م) القدس: المدينة والمعاش، بحث قُدم إلى الندوة الثالثة "يوم القدس"، ١٠-١٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٢م، عمان (الأردن).
٢. أحمد سوسة، (١٩٧٨م) العرب واليهود في التاريخ، ط٢، مطبعة الاعتدال - دمشق.
٣. إسحاق البديري، (٢٠٠٠م) القدس بين التاريخ والسياسة والثقافة، ورقة بحث قدمت في المؤتمر الحادي عشر للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات - القاهرة.
٤. حامد الشافعي دياب، (٢٠٠٣) مكتبة المسجد الأقصى المبارك (ماضيها وحاضرها)، مجلة مركز التوثيق والدراسات الانسانية - جامعة قطر العدد ١٥
٥. ربحي مصطفى عليان، (١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م)، (المكتبات في مدينة القدس) المنشور في مجلة عالم الكتب مج ٢٣ (١٤/٢) رجب شعبان طوقان، علي محمد واصف، (٢٠٠١/٨/٣١) الانتهاكات الإسرائيلية للكتاب و المكتبات في فلسطين من واقع الأوامر العسكرية، الاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات ، الرياض، السعودية، <https://search.emarefa.net/detail/BIM>
٦. عارف العارف، (١٩٦١م) المفصل في تاريخ القدس، فلسطين - القدس، مكتبة الأندلس.
٧. عبد الحليم محمود، (١٩٦٩م) بيت المقدس في الإسلام، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية .
٨. عجاج نويهض، (١٩٨١) كتاب رجال من فلسطين، حمل من موقع goodreads.com



٩. عفيف عبد الرحمن، (١٩٨٠م) القدس ومكانتها لدى المسلمين وانعكاس ذلك من خلال كتب التراث، بحثٌ قَدِمَ إلى المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام وفلسطين، عمّان: الجامعة الأردنية في الفترة ما بين ١٩-٢٤ نيسان (أبريل).
١٠. علي السيد علي، (أكتوبر ١٩٨٤م) مكتبات القدس في عصر سلاطين المماليك، دراسة نشرت في مجلة المكتبات والمعلومات العربية، السنة الرابعة، العدد الرابع.
١١. فيرا كوسا وفاليري روك، (أيلول ١٩٩٤م) مكتبات الأديرة في منطقتي القدس وبيت لحم: دراسة حالة، دراسة نشرت باللغة العربية في مجلة "رسالة المكتبة" المجلد التاسع والعشرون، العدد الثالث. الصفحات.
١٢. كامل جميل العسلي، المكتبات الفلسطينية منذ الفتح الإسلامي حتى سنة ١٩٨٥م، الموسوعة الفلسطينية - قسم الدراسات الخاصة د. ت، مجلد ٣، ج ٣.
١٣. _____، (١٩٩٢م) القدس في التاريخ. تحرير وترجمة عمّان (الأردن)، الجامعة الأردنية.
١٤. _____ (١٩٨١م) معاهد العلم في بيت المقدس، جمعية اعمال المطابع التعاونية، عمان - الاردن.
١٥. موسى الحسيني (١٩٨٥م) عروبة بيت المقدس، بيروت، نشر مركز الأبحاث.
١٦. نشأت الخطيب (١٩٧٨م) القدس بين الدين والتاريخ، بيروت نشر دار الأنيس.
١٧. يوسف العش، (١٩٩١م) دور الكتب العربية العامة وشبه العامة لبلاد العراق والشام ومصر في العصر الوسيط، ترجمه عن الفرنسية نزار أباطة ومحمد صباغ، بيروت نشر دار الفكر المعاصر .